بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الخليل

كلّية الدراسات العليا

قسم أصول الدين

التفسير بالمأثور في سورة مريم

-دراسة تحليلية مقارنة-

إعداد

رشا يوسف محمود عمران

إشراف

الدكتور عطية صدقي الأطرش

قُدّم هذا البحث استكمالاً لمتطلّبات نيل درجة الماجستير في أصول الدين فرع التفسير

١٤٣٧هـ-٢٠١٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

التفسير بالمأثور في سورة مريم – دراسة تحليلية مقارنة –

Interpretation Mathur in Surat Maryam - A comparative analysis -

إعداد: رشـــا يوسف محمود عمران

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت يوم الثلاثاء بتاريخ 26 جمادى الأخر لعام 1437هـ، الموافق 5 نيسان لعام 2016م.

وقد تكوّنت لجنة المناقشة من:

الدكتور عطية صدقي الأطرش	مشرفاً ورئيساً	دكتور عطيـــة صدقي الاطرش
الدكتور غسان عيسى هرماس	ممتحناً خارجياً	
الدكتور هارون كامل الشرباتي	ممتحناً داخلياً	

الإهـداء

إلى أُمّتي، التي أتطلّع دومًا أن أكون في صَرحِها لَبِنةً صالحة، وعضوًا فاعلًا نابضًا بالحياة والعطاء.

إلى والديّ الحبيبين، مَن تعجزُ أحرُف الوفاء وكلماتُ الثّناء عن تبيانِ فضلهما، والوفاء بحقهما. حفظهما الله وبارك في عمرهما، ومتّعهما بالعافية، وجزاهما عني خيرا.

إلى من يحملون في عيونهم ذكريات طفولتي وشبابي ... إخوتي وأخواتي .

إلى من ضاقت السطور عن ذكرهم فوسعهم قلبي ... صديقاتي وزميلاتي .

إلى كل من صنع المجد بفكره، إلى تلك العقول المفكرة أهدي إليكم جميعاً هذه الدراسة .

شُكـرٌ وتقدير

الحمدُ لله الكريم المنّان، الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، أحمده أن أمدني بعونه، ووفّقني لإتمامِ هذا العمل، له الحمد والشُكرُ أوّلًا وآخرًا.

وأُثَنّي بشُكرِ والديّ الكريمين الحبيبين، الذينِ لا أوفّيهما حقهما مهما بذلت، واللذينِ رافقاني بدعائهما وتحفيزهما ودعمِهما وعطائهما، طوال مسيرتي، أرجو أَن أحظى برضاهما، وأَن أُوفَّقَ لبرّهما، وأن أكون قرّة عينٍ لهما، وألا أُحرمَ دعاءهما ودعمهما وقُربهما.

والشُكرُ موصولٌ لجامعةِ الخليل ؛ أَن شرّفتني بالانضمام لركبِ طلبتها، وأتاحت لي إكمال هذا المشوار العلمي.

كما أُزجي الشُكر وبالغ الامتنان إلى من أكرمني بوقته وجهده وعلمه وخلقه والتي تعجز كلمات الشكر والوفاء عن إعطائه حقه، وأترك جزاءه لله الكريم في علاه، إلى من أكرمني بإشرافه على رسالتي الدكتور عطية صدقي الأطرش.

وعظيم الشكر والمودة أقدمه لأساتذتي الأفاضل من أضاؤوا دربي بنور علمهم، ولإخوتي الأحبة جميعًا، الذين تسابقوا لمدّ يد العون لي، ولصديقاتي المخلصات، ورفيقات دربي الغاليات، ولكلِّ مَن ساندني بدعوةٍ صادقةٍ، أو بكلمةٍ مشجّعة، أو عِلمٍ مُثرٍ نافع، أو بجُهدٍ ووقت، أو أيّ دعم، جزاهم الله كل خير أجمعين.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	**أ**
شكر وتقدير	**ب**
فهرس الموضوعات	**ت**
ملخّص الدراسة	**خ**
Abstract	**ذ**
المقدّمة	**ر**
الفصل التمهيدي: تمهيد حول التفسير بالمأثور وسورة مريم	**١**
المبحث الأوّل: تمهيد حول التفسير بالمأثور.	**٢**
المطلب الأوّل: معنى التفسير لغة واصطلاحاً.	٢
المطلب الثاني: معنى المأثور لغة واصطلاحاً.	٤
المطلب الثالث: تطور التفسير بالمأثور.	٧
المطلب الرابع: التفسير بالمأثور في الوقت الحاضر وحاجتنا إليه.	٩
المبحث الثاني: التعريف بسورة مريم.	**١٠**
المطلب الأوّل: تعريف عامّ بسورة مريم.	١٠
المطلب الثاني: مناسبة سورة مريم لما قبلها.	١٠

المطلب الثالث: التسمية سورة مريم .	١١
المطلب الرابع: أغراض سورة مريم.	١٢
الفصل الثاني: قصة زكريا ويحيى وعيسى ابن مريم عليهم السلام ومحاجة النصارى	**١٤**
المبحث الأوّل: قصة زكريا ويحيى عليهما السلام.	**١٥**
المطلب الأوّل: المعنى العام للآيات الكريمة.	١٦
المطلب الثاني: التفسير بالمأثور للآيات الكريمة.	١٧
المطلب الثالث: ملاحظات عامّة على المبحث.	٤٣
المبحث الثاني: قصة عيسى بن مريم عليه السلام ومحاجة النصارى.	**٤٦**
المطلب الأوّل: مناسبة الآيات الكريمة لما قبلها ومعناها العام.	٤٧
المطلب الثاني: التفسير بالمأثور للآيات الكريمة.	٤٩
المطلب الثالث: ملاحظات عامّة على المبحث.	٧٨
الفصل الثالث: وقفات مع قصص الأنبياء الأخرى في سورة مريم: إبراهيم وموسى وإسماعيل وإدريس -عليهم السلام-.	**٨١**
المبحث الأوّل: قصة إبراهيم عليه السلام.	**٨٣**
المطلب الأوّل: مناسبة الآيات الكريمة لما قبلها ومعناها العام.	٨٤
المطلب الثاني: التفسير بالمأثور للآيات الكريمة.	٨٥
المطلب الثالث: ملاحظات عامّة على المبحث.	٩١

المبحث الثاني: قصص الأنبياء الأخرى في سورة مريم موسى وإسماعيل وإدريس –عليهم السلام–.	**٩٣**
المطلب الأوّل: مناسبة الآيات الكريمة لما قبلها ومعناها العام.	٩٤
المطلب الثاني: التفسير بالمأثور للآيات الكريمة.	٩٥
المطلب الثالث: ملاحظات عامّة على المبحث.	١٠٢
المبحث الثالث: صفات خَلفِ الأنبياء وجزاؤهم وصفات التائبين وأهل الجنة.	**١٠٣**
المطلب الأوّل: مناسبة الآيات الكريمة لما قبلها ومعناها العام.	١٠٣
المطلب الثاني: التفسير بالمأثور للآيات الكريمة.	١٠٤
المطلب الثالث: ملاحظات عامّة على المبحث.	١١٣
المبحث الرابع: تنزل الوحي بأمر الله –عزوجل–.	**١١٦**
المطلب الأوّل: مناسبة الآيتين الكريمتين لما قبلها ومعناها العام.	١١٦
المطلب الثاني: التفسير بالمأثور للآيتين الكريمتين.	١١٧
المطلب الثالث: ملاحظات عامّة على المبحث.	١٢٠
الفصل الرابع: مواقف عن البعث والجزاء	**١٢١**
المبحث الأوّل: شبهات في البعث.	**١٢٣**
المطلب الأوّل: مناسبة الآيات الكريمة لما قبلها ومعناها العام.	١٢٤
المطلب الثاني: التفسير بالمأثور للآيات الكريمة.	١٢٦
المطلب الثالث: ملاحظات عامّة على المبحث.	١٤٤

المبحث الثاني: الحديث عن نسبة الولد لله عز وجل، والرد عليه، ومصير كل من المؤمنين والكافرين يوم القيامة.	**١٤٧**
المطلب الأوّل: مناسبة الآيات الكريمة لما قبلها ومعناها العام.	١٤٧
المطلب الثاني: التفسير بالمأثور للآيات الكريمة.	١٤٩
المطلب الثالث: ملاحظات عامّة على المبحث.	١٥٥
المبحث الثالث: محبة المؤمنين وتيسير الذكر المبين وإهلاك المجرمين.	**١٥٧**
المطلب الأوّل: مناسبة الآيات الكريمة لما قبلها ومعناها العام.	١٥٧
المطلب الثاني: التفسير بالمأثور للآيات الكريمة.	١٥٨
المطلب الثالث: ملاحظات عامّة على المبحث.	١٦١
الخاتمة	**١٦٢**
قائمة المصادر والمراجع	**١٦٤**

ملخّص الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى بحث التفسير بالمأثور في سورة مريم عليها السلام، ودراسته دراسة تحليلية مقارنة، وذلك من خلال جهود الإمامين الطبري والسيوطي في جمع الروايات المأثورة المفسِّرة لآيات سورة مريم في تفسيرَيْهما، وقد اشتملت الدراسة على مقدّمة وأربعة فصول، وخاتمة.

بيّنتُ في **المقدّمة** عنوان البحث، وأهدافه، وأهمّيته، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة له، ومنهج البحث وخطواته، ومحتواه.

أمّا عن الفصول؛ فقد كان الفصل الأول فصلاً تمهيدياً حول التفسير بالمأثور في سورة مريم عليها السلام، وقد تضمن هذا الفصل مبحثين، اشتمل المبحث الأوّل على تمهيد حول التفسير بالمأثور، أمّا المبحث الثاني فقد عرّف بسورة مريم عليها السلام.

أمّا **الفصل الثاني** فكان حول دراسة التفسير بالمأثور في قصة زكريا ويحيى وعيسى بن مريم عليهم السلام ومحاجة النصارى، وقد اشتمل هذا الفصل على مبحثين، تطرّق المبحث الأول لقصة زكريا ويحيى عليهما السلام، أمّا المبحث الثاني فقد اشتمل على تفسير قصة عيسى بن مريم عليه السلام ومحاجة النصارى.

وفي **الفصل الثالث** وقفات مع قصص الأنبياء الأخرى في سورة مريم: إبراهيم وموسى وإسماعيل وإدريس –عليهم السلام–، وقد اشتمل هذا الفصل على أربعة مباحث، عرضتُ في المبحث الأوّل التفسير بالمأثور في قصة إبراهيم عليه السلام، أمّا المبحث الثاني فتطرّقتُ فيه لتفسير قصص الأنبياء الأخرى في سورة مريم؛ موسى وإسماعيل وإدريس –عليهم السلام–، أمّا المبحث الثالث فكان حول

تفسير الآيات المتعلقة بصفات خَلَفِ الأنبياء وجزائهم وصفات التائبين وأهل الجنة برحمة الله ، وأخيراً في المبحث الرابع تفسير الآيات المتعلقة بتنزل الوحي بأمر الله سبحانه وتعالى.

وختاماً في **الفصل الرابع** تفسير الآيات المتعلقة بمواقف عن البعث والجزاء في سورة مريم، وذلك ضمن ثلاثة مباحث؛ اشتمل المبحث الأول على تفسير الآيات المتعلقة ببعض الشبهات في البعث، أمّا المبحث الثاني فكان في تفسير الآيات المتعلقة بالحديث عن نسبة الولد لله عز وجل، والرد عليه، ومصير كل من المؤمنين والكافرين يوم القيامة، وأخيراً في المبحث الثالث التفسير بالمأثور للآيات المتعلّقة بمحبة المؤمنين، وتيسير الذكر المبين، وإهلاك المجرمين.

وفي **خاتمة الرسالة** عرضتُ أهمّ نتائج الرسالة وتوصياتها، وبعد الخاتمة ذكرتُ المراجع والمصادر التي اعتمدت عليها في إعداد هذا البحث.

Abstract

This study aims to investigate the textual commentary (tafsir bi-l-ma'thur) of Surat Maryam (peace be upon her) based both on an analytical and a comparative manner, referring to the Qur'anic commentaries of the two Islamic scholars Al-Tabari and Al-Suyuti. In addition to its introduction and to its conclusion the study consists of four chapters. In the introduction among others the importance of the study, its aims, its research method, as well as already existing studies in the same field are presented. Then the first chapter both gives an overview over the methos of Qur'anic commentaries that are based on textual evidence (tafsir bi-l-ma'thur) and introduces Surat Maryam in general. While the second chapter concentrates on the lives of the prophets Zakariya and Yahya, as well as on that of 'Isa (peace be upon all of them) and those verses that address the beliefs of the Christians in that context, the third chapter concentrates on other prophets that are mentionned in Surat Maryam as Ibrahim, Musa, Isma'il and Idris (peace be upon them). Moreover in this chapter among others the issue of divine revelation is pointed out. The fourth chapter demonstrates among others issues as the resurrection, the Judgement Day, the gains of the faithful and the ruin of the disbelievers. Finally, in the conclusion the most important results of this study are shown and suggestions are given for further research.

المقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإنَّ أَجل الكتب وأعظمها كتاب الله –عز وجل– ففيه الهداية والرشاد، وفيه الشفاء والهناء، وقصص الماضي وبشرى المستقبل، فيه علم لا ينضب، فيه الدستور الذي ترفَّع عن الريب، مصدر الإسلام الأول عقيدةً وشريعةً وأخلاقاً، لهذا كله تنافس الجميع على اختلاف اهتماماتهم وتخصصاتهم للتلذّذ بثماره، والعيش تحت ظلاله، فكتبوا في تفسيره كتباً عديدة، تعددت مشاربها واهتماماتها، فمنها من اهتم باللغة والبلاغة، ومنها بالإشارة، ومنها بإعجازه، وأخرى اهتمت بتفسيره تفسيراً اجتماعياً، وكان أساس تلك التفاسير وعمدتها، هي التفاسير التي خصصها مؤلفوها لجمع الروايات التفسيرية كما جاءت عن السلف بأسانيدها، فقد جمع المفسرون الروايات وبثوها في كتبهم، ولكن اختلفت تفاسيرهم في جمعها للروايات، فمنها المقل ومنها المكثر، ومن المفسرين من نقل بالإسناد ومنهم من حذفه، ومنهم من تخيّر الصحيح، ومنهم من جمع الروايات بلا تمييز لصحيحها من سقيمها، لهذا كله جاءت فكرة بحثي الذي هو بعنوان «**التفسير بالمأثور في سورة مريم دراسة تحليلية مقارنة**» لأجمع الروايات المأثورة في سورة مريم من خلال أضخم كتابين للتفسير بالمأثور؛ وهما: جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري، والدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام السيوطي.

أسباب اختيار الموضوع:

١. المقارنة بين الأقوال المأثورة في سورة مريم للخروج بأحسنها.

٢. التعرف على قيمة التفسير بالمأثور ومدى ملاءمته للتفسير المعاصر.

٣. الرغبة في اكتساب مهارة نقد الروايات والآراء والأخبار .

٤. دخول الدخيل واختلاط الصحيح بالعليل وكثرة الوضع في التفسير و

الرغبة في الوقوف على بيان المقدار الصحيح من التفسير المأثور.

وأما عن سبب اختياري لسورة مريم فكان لعدم تناولها في دراسة مستقلة بالتفسير المأثور على خلاف كثير من السور.

أهداف هذه الدراسة:

١. التعريف بالتفسير بالمأثور لغة واصطلاحاً.

٢. التعريف بالتفسير المأثور من حيث تدرجه وميزاته، وأسباب ضعفه، وأشهر الكتب المكتوبة فيه.

٣. التعريف بسورة مريم: فضلها، وأسباب نزولها، وأغراضها.

٤. جمع شتات الروايات الواردة في تفسير سورة مريم بالمأثور ونقدها وتحقيقها.

٥. تنقيح المأثور في سورة مريم من الدخيل.

٦. ابداء بعض النظرات النقدية والمنهجية لبعض مفسري المأثور حول تفسيرهم لسورة مريم.

أهمية البحث:

تظهر أهمية هذا البحث في الأمور التالية:

١- يسهّل هذا البحث على الباحثين في التفسير الوقوف على ما ورد من التفسير بالمأثور في سورة مريم، إذ إنه يجمع ما تفرق من التفسير المأثور فيها في مؤلف واحد.

٢- في هذا البحث بيانٌ لما صح من التفسير بالمأثور في هذه السورة مما لم يصح، مما يمنع من التقوّل في كتاب الله –عز وجل– بالرأي، ويقف سداً أمام من يحاول استغلال الاختلاف في التفسير لبث طعونه في كتاب الله –عز وجل– وشريعته.

٣- إثراء المكتبة الإسلامية بالتفسير المأثور في سورة مريم.

٤- إبراز أهمية التفسير بالمأثور، وبيان مدى ملاءمته للتفسير المعاصر.

حدود البحث:

اقتصرت في هذا البحث على التفسير بالمأثور في سورة مريم، في كتاب جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري، وكتاب الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام السيوطي؛ لأنهما أوسع الكتب المتعلقة بالتفسير بالمأثور، علاوة على أن ابن جرير الطبري من أقدم المفسرين الذين جمعوا المأثور بإسناده إلى الرسول –صلى الله عليه وسلم–، وكبار الصحابة والتابعين، أما صاحب الدر المنثور فقد كان من أكثر المفسرين جمعاً لهذه الروايات؛ مما جعلني اعتمدهما في هذه الدراسة.

الدراسات السابقة:

من خلال دراستي واطلاعي على كتب التفسير بشكل عام، وكتب التفسير بالمأثور بشكل خاص، لم أجد تفسيراً قد جمع المرويات المأثورة في سورة مريم عليها السلام في كتاب واحد مختص بهذه السورة، فأحببت أن يكون لي شرف في خدمة كتاب الله –عزّ وجلّ–، وقد وجدت أثناء بحثي فيما يتعلق بدراسة المأثور في سورة مريم رسالة بعنوان **(المرويات عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير القران الكريم من أول سورة الكهف إلى آخر سورة العنكبوت)**، قدمها الباحث عبد المالك عبد الحميد الخياط، للحصولِ على درجةِ الماجستير في جامعة صنعاء، وفيما يتعلّق بسورة مريم عليها السلام فقد اقتصرت هذه الدراسة على نقد الروايات الواردة عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم –في السورة في مبحث واحد، ولم تتطرق إلى تفسير القرآن بالقرآن، وقول الصحابي والتابعي، كما سيكون بإذن الله في هذه الرسالة.

منهج البحث:

أمّا عن منهجي في البحث فقد تتبعتُ في إعدادي لهذا البحث المنهج الوصفي، مستفيدةً من المنهجين الاستنتاجي والاستقرائي، وقد سرت وفق الخطوات والإجراءات الآتية:

١. عزو الآيات الكريمة إلى موضعها من المصحف مع بيان السورة ورقم الآية.
٢. أذكر كلام الطبري ثم أبدأ بسرد المأثور عنه ثم ما وافقه من الدر المنثور وما زاد عنه وما لم أقف فيه على شيء مأثور ذكرت كلام الطبري في تفسيره منبهاً أنه لم يرد فيه شيء من المأثور.
٣. تخريج الأحاديث والآثار من الكتب التي خرجتها، أما ما ورد في الصحيحين فأكتفي

بتخريجه منهما فحسب .

٤. ترجمة الأعلام من غير المشاهير.

٥. توضيح المعاني الغريبة من كتب غريب القرآن والحديث وقواميس اللغة.

٦. بعد الحكم على الروايات وإبراز الاختلاف فيها، فإني ألجأ إلى طرح الضعيف والتمسك بالصحيح لإبرازه لحل التعارض، فإن تساوت الروايات في الصحة حاولت الجمع بينها وإلا ذهبت إلى الترجيح بينها لشاهد أو غيره.

٧. ذكر بعض النظرات النقدية التحليلية في منهج كل من المُفَسرِيْن في عرض المأثور من هذا التفسير، مع ملاحظات أخرى عامّة، وذلك في ختام كل مبحث.

محتوى البحث:

قسمت هذا البحث إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة.

المقدمة اشتملت على أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، وأهدافه، وحدوده، والدراسات السابقة له، ومنهج البحث وخطواته.

أمّا عن فصول الدراسة فقد كانت على النحو الآتي:

الفصل التمهيدي: تمهيد حول التفسير بالمأثور وسورة مريم.

وفيه مبحثان:

المبحث الأوّل: تمهيد حول التفسير بالمأثور.

المبحث الثاني: التعريف بسورة مريم.

الفصل الثاني: قصة زكريا ويحيى وعيسى بن مريم –عليهم السلام– ومحاجة النصارى.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: قصة زكريا ويحيى عليهما السلام.

المبحث الثاني: قصة عيسى بن مريم عليهما السلام ومحاجة النصارى.

الفصل الثالث: وقفات مع قصص الأنبياء الأخرى في سورة مريم إبراهيم وموسى وإسماعيل وإدريس –عليهم السلام–.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: قصة إبراهيم عليه السلام.

المبحث الثاني: قصص الأنبياء الأخرى في سورة مريم موسى وإسماعيل وإدريس عليهم السلام.

المبحث الثالث: صفات خَلَفِ الأنبياء وجزاؤهم وصفات التائبين وأهل الجنة.

المبحث الرابع: تنزل الوحي بأمر الله تعالى.

الفصل الرابع: مواقف عن البعث والجزاء من خلال سورة مريم.

المبحث الأول: شبهات في البعث.

المبحث الثاني: الحديث عن نسبة الولد لله عز وجل، والرّد عليه، ومصير كل من المؤمنين والكافرين يوم القيامة.

المبحث الثالث: محبة المؤمنين وتيسير الذكر المبين وإهلاك المجرمين.

الخاتمة، وتحتوي على أهم النتائج والتوصيات.

وبعد فهذا جهد الُمقِلّ، فما كان فيه من خير وإحسان فمن الله –عز وجل–، وما كان فيه من تقصير ونسيان فمني ومن الشيطان، وما توفيقي إلا بالله، والحمد لله رب العالمين.

الفصل التمهيدي

تمهيد حول التفسير بالمأثور وسورة مريم

وقد اشتمل هذا الفصل على مبحثين هما:

المبحث الأوّل: تمهيد حول التفسير بالمأثور.

المبحث الثاني: التعريف بسورة مريم.

المبحث الأول

تمهيد حول التفسير بالمأثور

حاز التفسير شرفاً لم يكن لغيره من العلوم، لأوجه كثيرة؛ فأساسه القرآن الكريم والسنة المطهرة، وغرضه الاعتصام بالعروة الوثقى من خلال الوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى، كذلك فإنّ الحاجة تشتدّ إليه، فلا كمال لعلم ديني أو دنيوي إلا بالوقوف على كلام الله – عز وجل – ، وفهم هذا الكلام لا يكون إلا عبر هذا العلم العظيم.[1] فما معنى التفسير لغة واصطلاحاً؟ وما الخطوات التي خطاها التفسير المأثور حتى عصرنا الحالي؟ وما أنواع التفسير بالمأثور؟ وما أسباب ضعفه؟ وما حاجتنا له في هذا العصر؟ هذا ما سأحاول الإجابة عليه في مطالب هذا التمهيد السريع.

المطلب الأوّل: معنى التفسير لغة واصطلاحاً

وفيه مسألتان:

المسألة الأوّلى: التفسير لغةً

[1] انظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (المتوفى: ٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ٤ أجزاء. (١٩٩/٤).

"فسر: الفَسْرُ: التفسير وهو بيان وتفصيل للكِتاب، وفَسَره يفسِره فسراً، وفسره تفسيراً. والتَّفْسِرة: اسمٌ للبَول الذي ينظُر فيه الأَطِّباء، يُسْتَدَلُّ به على مَرَض البَدَنِ، وكلُّ شيءٍ يُعرف به تفسيرُ الشيء فهو تفسره ."[1]

"فسر: الفَسْرُ: الْبَيَانُ. فَسَر الشيءَ يفسِرُه، بالكَسر، ويفْسُرُه، بِالضَّمِّ، فَسْراً وفَسَّرَهُ: أَبانه، والتَّفْسيرُ مِثْلُهُ... الفَسْرُ: كَشْف المغطّى، والتَّفسير كشف المراد عن اللَّفظ المُشْكل".[2]

فظهر ممّا سبق أنّ التفسير لغةً هو الكشف والبيان والتفصيل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ الفرقان: ٣٣.

المسألة الثانية: التفسير اصطلاحاً

للوقوف على حد التفسير اصطلاحا أذكر بعض تعريفاته:

عرّفه الزركشي[3]: "التَّفْسير علمٌ يُعرف به فهم كتاب الله المنزّل على نبيّه محمَد – صلى الله عليه وسلم– ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، وَاستمداد ذلك من علم اللّغة وَالنّحو والتصريف وعلم البيان وأُصولِ الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ".[4]

---

[1] الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، (المتوفى: ١٧٠هـ)، العين، حققه د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ٨ أجزاء. (٢٤٧/٧).

[2] ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن الأفريقي، (المتوفى: ٧١١هـ)، **(لسان العرب)**، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ١٥ جزءاً، (٥٥/٥).

[3] هو: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، بدر الدين أبو عبد الله، صاحب التصانيف، كان فقيهاً أصولياً أديباً، له البرهان في علوم القرآن والبحر المحيط في أصول الفقه وغيرها. توفي سنة أربع وتسعين وسبعمائة. انظر ابن العِماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط١ ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ١١ جزءاً (٥٧٣/٨).

[4] الزركشي، أبوعبد الله بدرالدين محمد بن عبد الله (المتوفى: ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٣٧٦هـ-١٩٥٥م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ٤ أجزاء (١٣/١).

وقال أبو حيان[١]: "التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك".[٢]

وعرفه الزرقاني[٣] فقال: علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية.[٤]

وعرفه بعضهم بأنه: "علم نزول الآيات، وشؤونها، وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها".[٥]

وأرجّح تعريف الزرقاني؛ لأنه أوضح وأشمل، بكلمات مختصرة، تدلل على عظمة هذا العلم من خلال القدرات البشرية.

المطلب الثاني: معنى المأثور لغة واصطلاحاً

وفيه مسألتان:

المسألة الأوّلى: المأثور لغة

---

[١] محمد بن يوسف بن علي بن حيان، الإمام أثير الدين أبو حيان، الأندلسي الغرناطي، نحوي عصره، ولغويه، ومفسره، ومحدثه، ومقرؤه، و مؤرخه، وأديبه، له يد طولى في التفسير واللغة، من أعظم تصانيفه البحر المحيط، مات سنة خمس وأربعين وسبعمائة. انظر طبقات المفسرين للداوودي (٢/٢٨٧-٢٩١).

[٢] أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، (المتوفى: ٧٤٥هـ)، البحر المحيط، حققه صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ، (١/٢٦).

[٣] محمد عبد العظيم الزرقاني: من علماء الأزهر بمصر. تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرسا لعلوم القرآن والحديث. وتوفي بالقاهرة. سنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨م من كتبه (مناهل العرفان في علوم القرآن). (الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار/ مايو ٢٠٠٢م، (٦/٢١٠)).

[٤] الزرقاني، محمد عبد العظيم، (المتوفى: ١٣٦٧هـ) ،مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عي سى البابي الحلبي وشركائه ، ط٣، جزأين، (٢/٣).

[٥] الذهبي، محمد السيد حسين (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة (١/١٣).

"أَثر الحديث: أن يأثرَه قوم عن قوم، أي: يُحدّث به في آثارهم، أي: بعدهم".[١]

وفي لسان العرب، الأثرُ: مصدر قولك أثرت الحديث آثره، إذا ذكرته عن غيرك. ومنه قول أبي سفيان في حديثه لقيصر: " لولا أن يؤثروا عني الكذب"[٢] أي يرووا ويحكوا. ومن هذا قيل: حديث مأثور، أي يخبر الناس به بعضهم بعضاً، أي ينقله خلف عن سلف؛ يقال منه: أَثَرْتُ الحديث، فهو مأثور وأنا آثر.[٣]

فالمأثور لغة هو ما نقله خلف عن سلف من أقوال.

المسألة الثانية: المأثور اصطلاحاً

وأما اصطلاحاً فقد عرفه الزرقاني، حيث قال: "ما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة بيانا لمراد الله تعالى من كتابه"[٤]، واختلفَ فيما يشمله مفهوم "التفسير المأثور" على آراء أذكر بعضاً منها:

قال الذهبي: "يشمل التفسير المأثور ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نقل عن الرسول –صلى الله عليه وسلم– ، وما نقل عن الصحابة رضوان الله عليهم، وما نقل عن التابعين، من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم".[٥] ولكن هناك من أبدى تحفظه من اشتمال التفسير بالمأثور على القرآن الكريم بدعوى أن القرآن كلام الله وليس كلام

---

[١] الفراهيدي، العين، (٢٣٧/٨).

[٢] البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله –صلى الله عليه وسلم –وسننه وأيامه صحيح البخاري، حققه محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ط١ ١٤٢٢هـ، ٩ أجزاء كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام والنبوة، وأن لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله برقم ٢٩٤١ (٤٥/٤)

[٣] ابن منظور، لسان العرب (٦/٤).

[٤] الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن (١٢/٢).

[٥] الذهبي، التفسير والمفسرون (١١٢/١).

البشر، وليس خاضعاً لمقاييس نقل الروايات، وتمحيص الأخبار والأقوال، فهو ثابت يقيني ومنهم الدكتور الخالدي[١] ثم وافقه الدكتور مساعد الطيار حين قال: إن تفسير القرآن بالقرآن لا نَقل فيه، بل هو داخل ضمن تفسير من فسر به فإن كان المفسر هو رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فهو من التفسير النبوي، وإن كان المفسر هو الصحابي، فهو من تفسير الصحابي، وإن كان المفسر هو التابعي، فهو من تفسير التابعي، وتفسير الصحابي والتابعي للآية بالآية سبيله الاجتهاد ولا يلزم الأخذ به."[٢] ولكن هناك من العلماء من جعله القمة في التفسير وأول ما يرجع إليه لعلة أن القائل أعلم بمراده من غيره،

قال ابن تيمية: "إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِلَ في مكان فإنه قد فُسِّرَ في موضع آخر، وما اخْتُصِر من مكان فقد بُسِطَ في موضع آخر"[٣].

وأقول ما كان للصحابي أو التابعي أن يجرؤ على تفسير القرآن بالقرآن عن هوى، فتفسيره يكون لأن الآية تفسر غيرها فعلاً.

واختلفوا في قول التابعي: فقال الزرقاني: "أما ما ينقل عن التابعين ففيه خلاف العلماء منهم من اعتبره من المأثور لأنهم تلقوه من الصحابة غالباً ومنهم من قال إنه من التفسير بالرأي".[٤]

والراجح عندي أنها جميعاً من باب التفسير بالمأثور مع التدقيق والتخريج لهذه المرويات، فما صح منها كان مأثوراً، فكتب التفسير بالمأثور القديمة والحديثة ذكرت روايات عن التابعين.

---

[١] الخالدي، صلاح عبد الفتاح، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم –دمشق– ط٣، ١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م، (٢٠٠/١).

[٢] الطيار، مساعد بن سليمان، فصول في أصول التفسير، تقديم محمد بن صالح الفوزان، ط٣، الرياض، دار ابن الجوزي ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م (٥٤/١).

[٣] ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير (٣٩/١).

[٤] الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن (١٣/٢).

المطلب الثالث: تطور التفسير بالمأثور

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأوّلى: خطوات نشأة التفسير وتطوره

مرّ علم التفسير في مراحل نشأته وتطوّره بخطوات خمس: (أولاها النقل بالرواية، ثم كتابته كباب من أبواب الحديث، ثم كتابته كعلم مستقل محتفظاً بإسناده، ثم اختصار الروايات وحذف السند، فكانت هذه الخطوة فرصة عظيمة لولوج الوضع والإسرائيليات إلى التفسير، أمّا الخطوة الخامسة فقد كانت أخطر هذه الخطوات، وهي اختلاط التفسير العقلي بالنقلي بالتدريج حتى طغى على النقلي، فتحكمت الاصطلاحات العلمية والعقائد المذهبية في عبارة القرآن الكريم حتى أصبحت كتابة تفسير القرآن تفريغاً للفن الذي برع فيه مؤلفه ومذهبه).[1]

المسألة الثانية: أقسام التفسير بالمأثور

للتفسير بالمأثور أربعة أقسام: تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة، وأخيراً تفسير القرآن بقول التابعي.

المسألة الثالثة: أسباب الوضع في التفسير بالمأثور

يرجع الوضع في التفسير بالمأثور لأسباب أهمها:[2]

١. ما دسَّه الزنادقة في الرواية الإسلامية، بخبثهم تحت تسترهم بالإسلام.

٢. الخلافات السياسية والمذهبية: فقد وضع ضعاف الإيمان أحاديث تؤيد مذاهبهم، وفي فضائل مَتبوعيهم، وفي مثالب مخالفيهم كما فعل الشيعة وأنصار العباسيين وأنصار الأمويين.

٣. القصّاص: لقد ظهر القصّاص بعد عهد الفاروق عمر– رضي الله عنه –، وكان هؤلاء القصّاص

---

[1] الذهبي، التفسير والمفسرون بتصرف (١/١٠٤-١٠٨).

[2] يُنظر أبو شهبة، محمد بن محمد بن سويلم، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مكتبة السنة، ط٤. (١/٨٥-٩٣).

من غير أهل العلم بالحديث، فكثر ما يقصونه من غريب وعجيب القصص لاستمالة الناس، فمنهم من كان هدفه ترغيب الناس وترهيبهم ومنهم من يكون مراده أن يلبس على الناس دينهم.

٤. بعض الزهاد والمتصوفة: فقد وضعوا في الحديث على رسول الله –صلى عليه وسلم– ما لم يقل، ترغيباً للناس، مؤولين الحديث المتواتر: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[١] أنه كذب له لا عليه.

٥. النقل عن أهل الكتاب الذين أسلموا ككعب الأحبار[٢]، ووهب بن منبه[٣]، وعبد الله بن سلام[٤] وتميم الداري[٥] فيما لا يتعلق بالحلال والحرام واقتصر على أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود.

٦. نقل كثير من الأقوال والآراء المنسوبة إلى الصحابة والتابعين من غير إسناد ومن غير تحرٍ عن رواتها.

---

[١] البخاري، صحيح البخاري، ٢٣ –كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت، ١٢٩١ (٨٠/٢)، مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم –صحيح مسلم، حققه محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ٥ أجزاء، (١٠/١).

[٢] هو كَعْبُ الأَحْبَارِ بْنُ مَاتِعٍ، ويكنى أبا إسحاق وهو من حمير من آل ذي رعين، وكان على دين يهود فأسلم وقدم المدينة ثم خرج إلى الشام فسكن حمص حتى تُوُفّي بها سَنَةَ ٣٢ أو ٣٤هـ فِي خِلاَفَةِ عُثْمَانَ بْنِ عفان. (ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار (١٩٠/١)، ابن سعد، الطبقات الكبرى (٣٠٩/٧)).

[٣] وهب بن منبه بن كامل بن سيج، أبو عبد الله الأبناوي الذرماري الصنعاني اليماني، مؤرخ، كثير الإخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأوّلين ولا سيما الإسرائيليات. يعد في التابعين، ولد ومات بصنعاء، توفي سنة ١١٠هـ وقيل ١١٤هـ. ((ينظر ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (المتوفى: ٥٧١هـ)، تاريخ دمشق، حققه عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ–١٩٩٥م، ٨٤ جزءاً (٣٦٦/٦٣ – ٣٦٩)، (ينظر الزركلي، الأعلام (١٢٥/٨)).

[٤] هو عبد الله بن سلام بن الحارث الخزرجي من بنى قينقاع كنيته أبو يوسف، كان حبرا قبل ان يسلم واسمه كان قبل الاسلام الحصين فسماه رسول الله– صلى الله عليه وسلم–عبد الله وكان من فقهاء الصحابة وعلمائهم بالكتب، له ٢٥ حديثاً، توفى بالمدينة سنة ٤٣هـ. ((ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار (٣٦/١)، (الزركلي، الأعلام (٩٠/٤)).

[٥]وهو تميم بن أوس بن خارجة أبو رقية، وَفَدَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم – ومعه أخوه نعيم بن أوس فأسلما وأقطعهما رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حبرى وبيت عينون بالشام. وَلَيْسَ لِرَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قطيعة بالشام غيرها. وصحب تميم رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وغزا معه وَرَوَى عَنْهُ وَلَمْ يَزَلْ بِالْمَدِينَةِ حَتَّى تَحَوَّلَ إِلَى الشَّامِ بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، مات بفلسطين سنة ٤٠هـ ((ابن حيان، مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار (٩٠/١)، (ابن سعد، الطبقات الكبرى (٢٨٧/٧)، (الزركلي، الأعلام (٢/ ٨٧)).

المطلب الرابع: التفسير بالمأثور في الوقت الحاضر وحاجتنا إليه

اتجه التفسير عند المحدثين اتجاهات عدة وكثيرة، ومما يؤسف له أن التفسير بالمأثور لم يوجد من يُعنى به ويوليه الاهتمام كما ينبغي، وهذا لا يعني إنكار المحدثين للتفسير المأثور ولا ينفي أيضاً كذلك وجود تفاسير من هذا النوع لكنها قليله جداً؛ ولعل هذا عائد إلى اعتقادهم بأن الناس قد انصرفوا عن هذا اللون من التفسير، والبعض أورد هذا اللون من التفسير بالمعنى من غير ذكر الآيات والأحاديث بنصوصها، كذلك انشغال البعض إلى مباحث أخرى على حساب التفسير بالمأثور وغيرها من الأسباب.

"ولعل حاجتنا إلى التفسير بالمأثور يتمثل في قول فهد الرومي في خاتمة كتابه: "والأمة الإسلامية في العصر الحديث بحاجة إلى تفسير يعني بالتفسير بالمأثور بالقرآن وبالسنّة يورد الآية القرآنية، ويورد بعدها ما يفسرها من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وينطلق بعدهما لبسط ما تدل عليه من معانٍ وما ترسمه من حقائق الأمة الإسلامية، بحاجة إلى هذا النوع من التفسير يورد فيه ما صح من الأحاديث ويبين درجته، ويرد ما ضعف منها، أو ما هو موضوع ، ويحذر من القول به، فقد انتشرت في كتب التفسير أحاديث يرددها الناس، ويحسبونها صحيحة ويقفون عندها لا يتجاوزونها. وإذا جئت بتفسير آخر أصح منه نظر إليك من طرف أو صوب عليك بصره وكأنك أتيت بالجرم الكبير، نحن أمة الإسلام بحاجة إلى تفسير ينشر التفسير الحق ويظهره.

ويورد التفسير الضعيف أو الموضوع ويرده ويبطله حتى لا تقوم قائمة إلا للحق وحتى ينمحي الباطل".[1]

---

[1] الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية برقم ٩٥١/ ٥ وتاريخ ٥/ ١٤٠٦/٨، ط١ ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م. (١١٦٥/٣).

المبحث الثاني

التعريف بسورة مريم

وقد اشتمل هذا المبحث على عدّة مطالب على النحو الآتي:

المطلب الأوّل: تعريف عامّ بسورة مريم

سورة مريم هي السورة التاسعة عشر في القرآن الكريم، بلغ عدد آياتها ثماني وتسعين آية، وتقع في الجزء السادس عشر، نزلت بعد سورة فاطر، وهي إحدى السور المكيّة، عدا الآيتين ثماني وخمسين، وإحدى سبعين؛ فهما مدنيتان[1]، وفي ذلك نظر لما ذكره الدكتور فضل عباس: ما قبل هذه الآية حديث عن الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام–، فكيف يتحدث عنهم في مكة المكرمة، ثم يقال بعد سنين طويلة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ مريم: ٥٨، وأعجب من هذا استثناء قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١﴾ مريم: ٧١، فالضمير يعود إلى جهنم أعاذنا الله منها، فكيف يعود الضمير على شيء ذكر قبل سنين؟!.[2]

المطلب الثاني: مناسبة سورة مريم لما قبلها

سُبقت سورة مريم بسورة الكهف حسب الترتيب في المصحف الشريف، وقد احتوت سورة الكهف على ذكر قصص عجيبة؛ كقّصة أصحاب الكهف وطول لبثهم دون أكل أو شرب، وقصة موسى –عليه السلام– مع الخضر، وقصة ذي القرنين، وبدأت سورة مريم في ذكر قصص أشد

---

[1] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (٦١/١).

[2] عباس ، فضل حسن، إتقان البرهان في علوم القرآن، دار الفرقان– الاردن، ط١ ١٩٩٧م (٣٨٧/١).

عجباً: قصة ولادة يحيى على كبر الوالد وعقم الوالدة، وقصة أشد عجباً وهي ولادة عيسى دون أب[1]؛ فانتهاء السورة السابقة بنوع من القصص، وابتداء سورة مريم أيضاً على نحو مشابه من ذلك القصص العجيب، يعدّ وجه تناسب بين السورتين.

المطلب الثالث: التسمية سورة مريم

سميت هذه السورة باسم مريم العذراء تخليداً لها، فقد ولدت المسيح بمعجزة فريدة من نوعها حيث أنها ولادة عذرية من غير أب، حسب المعتقد الإسلامي والمسيحي. وهي السورة الوحيدة التي سُميت باسم امرأة، كذلك تعد مريم العذراء هي السيدة الوحيدة التي تم ذكر اسمها في القرآن، مما يُظهر ذلك عظم قدرها في الإسلام، فقد ذكرها القرآن قبل ذلك في سورة آل عمران: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ آل عمران: ٤٢، أي أنها أفضل النساء على الإطلاق منذ زمن حواء امرأة آدم وحتى قيام الساعة، كذلك في سورة التحريم: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ التحريم: ١٢، وذُكِرت في مواضع أخرى يغلب عليها الثناء.

وهذه التسمية توقيفية لما ذكره ابن عاشور في تفسيره فقال "اسم هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير وأكثر كتب السنة سورة مريم. ورويت هذه التسمية عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في حديث رواه الطبراني والديلمي، وابن منده، وأبو نعيم، وأبو أحمد الحاكم: عن أبي بكر بن عبد الله بن

---

[1] الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر –دمشق، ،ط٢ ١٤١٨هـ، ٥ أجزاء (٤٦/١٦). ينظر الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي ، (المتوفى: ٧٠٨هـ)، البرهان في تناسب سور القرآن، حققه محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. المغرب، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م، نقل بتصرف (٢٥١/١).

أبي مريم الغساني عن أبيه عن جده أبي مريم قال: «أتيت النبيء صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله إنه ولدت لي الليلة جارية، فقال: والليلة أنزلت علي سورة مريم فسمها مريم».[1]

كذلك ذُكِر في الحديث النبوي أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ".[2]

المطلب الرابع: أغراض سورة مريم

يدور سياق هذه السورة على محور التوحيد ونفي الولد والشريك، ويلم بقضية البعث القائمة على قضية التوحيد، هذا هو الموضوع الأساس الذي تعالجه السورة، كالشأن في السور المكية غالباً.

ويسير السياق مع موضوعات السورة في أشواط ثلاثة:

١. الشوط الأوّل يتضمن قصة زكريا ويحيى، وقصة مريم وعيسى. والتعقيب على هذه القصة بالفصل في قضية عيسى التي كثر فيها الجدل، واختلفت فيها أحزاب اليهود والنصارى.

٢. الشوط الثاني يتضمن حلقة من قصة إبراهيم مع أبيه وقومه واعتزاله لملة الشرك وما عوضه الله من ذرية. ثم اشارت إلى قصص النبيين، ومن اهتدى بهم ومن خلفهم من الغواة ومصير هؤلاء وهؤلاء.

---

[1] ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ، ٣١٠ج (٥٧/١٦)

[2] البخاري، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى {وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون} (التحريم: ١١) –إلى قوله تعالى– {وكانت من القانتين} (التحريم: ١٢)، (١٥٨/٤)برقم (٣٤١١)، مسلم، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ١٢ –باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها، (١٨٨٦/٤) برقم (٢٤٣١).

وينتهي بإعلان الربوبية الواحدة، التي تعبد بلا شريك: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ مريم: ٦٥.

٣. الشوط الثالث والأخير يبدأ بالجدل حول قضية البعث، ويستعرض بعض مشاهد القيامة. ويعرض صورة من استنكار الكون كله لدعوى الشرك، وينتهي بمشهد مؤثر عميق من مصارع القرون!، قال تعالى: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ٩٨﴾ مريم: ٩٨.[1]

وبعد هذا التعريف الموجز بسورة مريم وما سبقه من الحديث عن التفسير بالمأثور، فإنّني أنطلق في الفصل القادم للدخول في لبّ هذه الدراسة، وهو دراسة مواضع التفسير بالمأثور في سورة مريم، وقد استفدت من التقسيم الموضوعي في المطلب السابق في تقسيم فصول هذا البحث؛ فكان الفصل التالي بحث التفسير بالمأثور في قصة زكريا ويحيى عليهما السلام، وقصّة عيسى ابن مريم عليه السلام، ومحاجّة النصارى، وذلك ضمن مباحث الفصل القادم.

[1] قطب، سيد، إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، في ظلال القرآن، دار الشروق – بيروت– القاهرة، ط١٧ ١٤١٢ هـ (٢٣٠١/٤).

الفصل الثاني

قصة زكريا ويحيى وعيسى ابن مريم عليهم السلام ومحاجة النصارى

وقد اشتمل هذا الفصل على مبحثين:

المبحث الأوّل: قصة زكريا ويحيى عليهما السلام.

المبحث الثاني: قصة عيسى ابن مريم عليه السلام ومحاجة النصارى.

المبحث الأوّل

قصة زكريا ويحيى -عليهما السلام-

الآيات الكريمة في قصة زكريا ويحيى -عليهما السلام-:

قال تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ۝٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ۝٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ۝٩ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ۝١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ۝١١ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ۝١٢ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ۝١٣ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ۝١٤ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ۝١٥﴾ مريم: ١ – ١٥.

المطلب الأوّل: المعنى العام للآيات الكريمة

تبدأ هذه السورة بذكر الحروف المقطعة وهي من المتشابهات[1] التي لا يحسن الخوض فيها لعدم وجود نص شرعي صحيح معتمد، وقوله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾ مريم: ٢ – ٣؛ (أي مما نقص عليك ذكر رحمة ربك عبده زكريا حين دعا ربه دعاءً خفياً مستوراً عن سمع الناس)، فشكى زكريا إلى ربه متذللاً بضعفه وقلة حيلته ذاكراً جوانب هذا الضعف ألا وهي: ضعف البدن والكبر، فساد الورثة من بعده، عقم زوجته طالباً من ربه أن يرزقه ولياً من بعده يرث ميراث النبوة، ويحافظ على الدين ويكون براً تقياً مرضياً عندك وعند خلقك، تحبه ويحبونه لدينه وخلقه ومحاسن شيمه، فاستجاب له ربه فبشره بيحيى الذي لم يسمَّ باسمه أحد من قبله،(فتعجب زكريا حين أجيب إلى ما سأل وبشر بالولد، وفرح فرحاً شديداً، وسأل عن الوجه الذي يأتيه منه الولد، مع أن امرأته عاقر لم تلد من أول عمرها، والآن قد كبرت وهو قد كبر ويبس عظمه ونحل، وكأنه يقول: حينما كنت شاباً وكهلاً لم أرزق الولد؛ لاختلال أحد السببين وهو عقم المرأة، أفحين اختل السببان أرزقه؟) فأجابه ربه بأن هذا الإنجاب للولد على ما به من كبر وعقم الزوجة هو أهون من خلق الإنسان من العدم، فطلب زكريا من ربه علامة تدل على هذا الحدث؛ ليطمئن قلبه فكانت علامته عدم تكليم الناس ثلاثة أيام إلا بالذكر والتسبيح، فخرج إلى قومه من المحراب وأومأ إليهم أن يسبحوا الله وينزهوه عن الشريك والولد وعن كل نقص طرفي النهار، فتم لزكريا مراده

---

[1] - تحير المفسرون في محل هاته الحروف الواقعة في أول هاته السور ، وفي فواتح سور أخرى عدة جميعها تسع وعشرون سورة ومعظمها في السور المكية ، وكان بعضها في ثاني سورة نزلت وهي } ن والقلم] { القلم : ١ [، وأَخْلِقْ بها أن تكون مثار حيرة ومصدر ، أقوال متعددة وأبحاث كثيرة ، ومجموع ما وقع من حروف الهجاء أوائل السور أربعة عشر حرفاً وهي نصف حروف الهجاء وأكثر السور التي وقعت فيها هذه الحروف : السورُ المكية عدا البقرة وآل عمران ، والحروف الواقعة في السور هي : أ ، ح ، ر ، س ، ص ، ط ، ع ، ق ، ك ، ل ، م ، ن ، هـ ، ي ، بعضها تكرر في سور وبعضها لم يتكرر وهي من القرآن لا محالة ومن المتشابه في تأويلها. ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، (٢٠٦/١).

واستجاب الله دعاءه، فوهبه يحيى ولياً وأمره بأخذ التوراة وفهمها والعمل بها وجعل فيه صفات تؤهله لتبليغ الرسالة، منها: آتاه الحكم في صباه، وجعل فيه شفقة وعطفاً، يقربه للقلوب، وجعله تقياً، باراً بوالديه، ولا يعصي ربه، وجعله سالماً في الدنيا والآ1خرة وفي القبر.[1]

المطلب الثاني: التفسير بالمأثور للآيات الكريمة

أبدأ في عرض التفسير بالمأثور في سورة مريم وهو هدف الدراسة وغرضها، محاوِلةَ التحليل والمقارنة ما استطعت إلى ذلك سبيلاً؛ للوقوف على ما يظهر لي بالدراسة رجحانه على غيره، وقد اعتمدت في دراسة هذا التفسير على تفسير الإمام الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن)، وتفسير الإمام السيوطي المعروف باسم (الدر المنثور في التفسير بالمأثور)؛ وذلك لأن الأوّل أكثر التفاسير بالمأثور أصالة، والثاني أكثرها جمعاً لمادّة المأثور وبهذا تغني عن غيرها من المصادر الأخرى.

وفي هذا المطلب عدّة مسائل:

المسألة الأوّلى: تفسير قوله تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ مريم: ١.

في تفسير حرف الكاف، يقول الطبري: "اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى ذكره: كاف من ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ فقال بعضهم: تأويل ذلك أنها حرف من اسمه الذي هو كبير، دلّ به عليه، واستغنى بذكره عن ذكر باقي الاسم"[2]، وروي ذلك عن ابن عباس وسعيد بن جبير[3]: كاف: كبير.

---

[1] يُنظر المراغي، أحمد بن مصطفى (المتوفى: ١٣٧١هـ)، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط١ ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م، ٣٠ جزءاً، (١٦/٣٨-٣٩)، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، حققه عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١ ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، (١/٤٨٩-٤٩٠).

[2] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/١٣٧).

[3] الفقيه المحدث المفسّر وكان أحد علماء التابعين، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر، قتله الحجاج واختلف في وفاته فقيل توفي في شعبان سنة ٩٤ وقيل ٩٥. (ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي

وقال آخرون: بل الكاف من ذلك حرف من حروف اسمه الذي هو كاف. روي هذا عن سعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم[١] والكلبي[٢]، وزاد في الدر المنثور رواية عن الربيع بن أنس[٣]: «كاف مفتاح اسمه كافي» ونحوه عن ابن عباس.[٤]

وقال آخرون: بل هو حرف من حروف اسمه الذي هو كريم، روي ذلك عن سعيد بن جبير: «كاف من كريم»،[٥] وزاد في الدر المنثور نحوه عن ابن عباس.[٦]

وقال الذين فسروا ذلك بتفسير الهاء من ﴿كٓهيعٓصٓ ١﴾ : حرف من حروف اسمه الذي هو هاد، روي ذلك عن سعيد بن جبير وابن عباس والضحاك بن مزاحم و الكلبي[٧].

بكر، (المتوفى: ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ط١ ١٩٧١م. (٣٧١/٢– ٣٧)، (الأدنهوي، أحمد بن محمد ق ١١هـ)، طبقات المفسرين، حققه سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم –السعودية، ط١ ١٤١٧هـ–١٩٩٧م، ١ جزءاً، (١٠/١)،

[١] صاحب التفسير مات بخرسان سنة ١٠٢هـ، وكان له مكتب عظيم فيه ثلاثة آلاف صبي. (طبقات المفسرين (١٠/١–١١)، (الزركلي، الأعلام (٢١٥/٣)).

[٢] أبو النضر محمد بن السائب بن بشر، صاحب التفسير وعلم النسب، توفي سنة ست وأربعين ومائة بالكوفة (ابن خلِّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٣٠٩/٤))، (الزركلي، الأعلام (١٨/١)). يُنظر الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، (المتوفى: ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، حققه أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١ ١٤٢٠هـ–٢٠٠٠م، ٢٤ جزءاً (١٣٧/١٨).

[٣] من أهل البصرة، ومن بني بكر بن وائل قد لقي ابن عمر وأنس بن مالك وجابر وكانت وفاته في خلافة أبي جعفر سنة ست وثلاثين ومائة. (ابن سعد: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي (المتوفى: ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، حققه محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ ١٤١٠هـ–١٩٩٠م، ٨ أجزاء (٣٦٩/٧) ،الأدنه وي، طبقات المفسرين (١٦/١)).

[٤] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: ٩١١هـ)، الدر المنثور، دار الفكر –بيروت، ٨ أجزاء (٤٧٨/٥).

[٥] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٣٨/١٨).

[٦] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤٧٨/٥).

[٧] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٣٨/١٨).

وذكر في الدر المنثور مثله عن عكرمة[١] والربيع بن أنس، وزاد عن ابن مسعود ومحمد بن كعب[٢] «الهاء من الله».

اختلفوا في تأويل الياء، فقال بعضهم: هو حرف من حروف اسمه الذي هو يمين، وروى ذلك سعيد بن جبير وابن عباس، وقال آخرون: هو حرف من حروف اسمه حكيم، وروي ذلك عن سعيد بن جبير[٣]، وذكر في الدر عن ابن عباس مثله.[٤]

وقال آخرون بل هي حروف من قول القائل يا من يجير، روي ذلك عن الربيع بن أنس[٥]، وزاد في الدر عن ابن مسعود قال: الياء من العزيز[٦].

واختلف متأولو ذلك كذلك في معنى العين؛ فقال بعضهم: هو حرف من حروف اسمه الذي هو عالم، وروي ذلك عن سعيد بن جبير والكلبي وابن عباس والعلاء بن المسيب بن رافع[٧].

وذكر في الدر مثله عن أبي صالح[٨]

---

[١]عكرمة أبو عبد الله القرشي مولاهم المدني البربري الأصل العلامة الحافظ المفسر، كان ثقة قليل الحديث، كان مولى لابن عباس وروى عنه، توفي في خلافة يزيد بن عبد الملك بالمدينة. سنة ١٠٤ أو ١٠٥هـ. ((ابن سعد، الطبقات الكبرى (١٦١/٥))، (الأدنه وي، طبقات المفسرين (١٣/١))، (الذهبي، سير أعلام النبلاء (٣١/١٢))، (الزركلي، الأعلام (٢٤٤/٤)).

[٢] محمد بن كعب، ولد في حياة الرسول –صلى الله عليه وسلم– روى عن فضالة بن عبيد وأبي هريرة، اختلف في سنة وفاته فقيل توفي سنة ١٠٨هـ وقيل مات سنة ١١٧هـ أو ١١٨هـ. (ابن سعد، الطبقات الكبرى (١٣٤/١) الأدنه وي، طبقات المفسرين، (١٠/١)).

[٣] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٣٩/١٨).

[٤] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤٧٨/٥).

[٥] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٣٩/١٨).

[٦] السيوطي، الدر المنثور في التفسير المنثور (٤٧٨/٥).

[٧] العلاء بن المسيب بن رافع التغلبي الكوفي ويقال: الكاهلي، سَمِعَ أباه وعطاء ١، روى عَنْهُ الثَّوْرِيّ وجرير بن عَبْد الحميد، توفي سنة ١٤١–١٥٠. (البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (المتوفى: ٢٥٦هـ)، التاريخ الكبير، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد –الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، ٨ أجزاء، (٥١٢/٦)، الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، حققه الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١ ٢٠٠٣م ١٥ جزءاً (٩٣١/٣)). يُنظر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٣٩/١٨–١٤٠).

[٨] أَبُو صَالِحٍ بَاذَامُ مَوْلَى أُمِّ هَانِئٍ بِنْتِ أَبِي طَالِبِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ. رَوَى عَنْهُ سِمَاكٌ، وَمُحَمَّدُ بْنُ السَّائِبِ الْكَلْبِيُّ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ. (ابن سعد، الطبقات الكبرى، (٣٠٢/٥))، (البخاري، التاريخ الكبير (١٤٤/٢)).

والربيع بن أنس.[١]

وقال آخرون: بل هو حرف من حروف اسمه الذي هو عزيز. روي ذلك عن سعيد بن جبير وابن عباس[٢]، وذكر في الدر مثله عن ابن مسعود ومحمد بن كعب[٣].

وقال آخرون: بل هو حرف من حروف اسمه الذي هو عدل، وروي ذلك عن الضحاك بن مزاحم[٤].

وزاد في الدر عن ابن عباس «عين من عليم»، وعن عكرمة «عين من علي»[٥].

وقال الذين تأولوا هذا التأويل: الصاد من قوله تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾: حرف من حروف اسمه الذي هو صادق، وروي ذلك عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم والكلبي[٦]، وذكر مثله في الدر أبو صالح وعكرمة والربيع بن أنس.

وزاد في الدر ابن مسعود قال «الصاد من المصور»، وعن محمد بن كعب «الصاد من الصمد»[٧].

---

[١] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤٧٨/٥).
[٢] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٤٠/١٨).
[٣] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤٧٨/٥).
[٤] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٤٠/١٨).
[٥] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤٧٨/٥).
[٦] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٤٠/١٨-١٤١).
[٧] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤٧٨/٥).

وقال آخرون: بل هذه الكلمة كلها اسم من أسماء الله تعالى، روي ذلك عن ابن عباس في قوله "﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ قال: قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله" [١]، وزاد في الدر عنه " أنه اسم الله الأعظم".[٢]

وقال آخرون: كلّ حرف من ذلك اسم من أسماء الله عزّ وجل، وروي ذلك عن ربيع بن أنس عن أبي العالية[٣]. وقال آخرون: هذه الكلمة اسم من أسماء القرآن، وروي ذلك عن قتادة.[٤]

تعقيب:

بعد ذكر الاختلاف في هذه الآية والأقوال في ذلك، فقد ظهر عدم ثبوت قول مرفوع تستريح له النفس؛ فما تطمئن به النفس في هذا المقام، هو عدم الخوض في معاني هذه الحروف وغيرها من فواتح السوَر، وهذا هو مذهب ثلّة من العلماء، ورغم عدم تعليق الإمام السيوطي في تفسيره على خلاف العلماء حول الخوض في تفسير هذه الحروف؛ إلّا أنّ ذلك لا يعني عدم وجود رأي له في هذه المسألة، فقد تطرّق لذلك في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) وذلك في حديثه عن المحكم والمتشابه، ويبدو أن الإمام السيوطي قد خصّص تفسيره لسرد المرويات فحسب ، فقد لاحظت عدم

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٤١/١٨).

[٢] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤٧٨/٥).

[٣] رفيع بن مهْرَان الْبَصْرِيّ أَبُو الْعَالِيَة الريَاحي التَّابِعِيّ، ذكره الذَّهَبِيّ فِي طبقاته كَانَ إِمَامًا فِي الْقُرْآن وَالتَّفْسِير وَالْعلم وَالْعَمَل، وَأخذ الْقِرَاءَة عرضاً عَن أبي وَزيد بن ثَابت وَابْن عَبَّاس، مَاتَ يوم الاثنين في شوال سنة تسعين (ابن سعد، الطبقات الكبرى (١١٢،١١٧/٧) (الأدنه وي، طبقات المفسرين (٩/١)).

[٤] قتادة بن دعامة بن عزيز بن عمرو بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سدوس، البصري، الأكمه ويكنى أبا الخطاب، أخذ القرآن ومعانيه وروي عن أنس بن مالك وعن غيرهم توفي سنة سبع عشرة ومائة. (ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٨٥/٤)، (الأدنه وي، طبقات المفسرين (١٥/١)). يُنظر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٤١/١٨-١٤٢).

ترجيح الإمام بين الأقوال أو تعقيبه عليها، وبهذا يكون تفسيره من أحقّ ما يصنّف ضمن التفسير بالمأثور، وذلك لخلوه من التفسير بالرأي.

أمّا عن ما قاله السيوطي في الإتقان؛ فقد رجّح كون القرآن منقسما إلى محكم ومتشابه[١]، ثمّ بين خلاف العلماء في تعيين المحكم والمتشابه، ومن ضمن مذاهب العلماء أنّ أوائل السور هي من ضمن المتشابه الذي لا يعلمه إلّا الله –عز وجل–،[٢] وهو مذهب الإمام السيوطي، رغم عدم إفصاحه عنه في (الدر المنثور)، حيث قال في (الإتقان): " ومن المتشابه أوائل السور، والمختار فيها أيضاً أنها من الأسرار التي لا يعلمها إلا الله تعالى، أخرج ابن المنذر وغيره عن الشعبي أنه سئل عن فواتح السور فقال إن لكلّ كتاب سراً، وإن سرّ هذا القرآن فواتح السور"[٣].

كذلك فإنّ من الملاحظات المنهجية على التفسيريْن اللذين اعتمدت عليهما، هو توسّع الإمام السيوطي في المرويات، وهو ما أشرت إليه في بداية هذا المبحث من كون (الدر المنثور) أكثر كتب التفسير بالمأثور جمعاً لمادّة المأثور؛ فعلى سبيل المثال –كما مرّ سابقاً– في تفسير حرف الكاف في قوله تعالى : كهيعص (مريم: ١)، زاد السيوطي رواية عن ابن عبّاس مفادها أنّ الكاف من اسم الله تعالى: الكريم، ولم ترد هذه الرواية في تفسير الطبري، وهكذا.

المسألة الثانية: تفسير قوله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢﴾ مريم: ٢.

---

[١] حيث إنّ للعلماء في ذلك أراء ثلاثة، ولكل دليله، وهذه الآراء هي: القرآن كلّه محكم، القرآن كلّه متشابه، القرآن قسم منه محكم وقسم منه متشابه. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (٣/٣–٤).

[٢] يُنظر كذلك: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (٣/٣–٤).

[٣] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (٢٤/٣).

لم يذكر الطبري فيها شيئاً من المأثور، وذكر في الدر عن يحيى بن يعمر[1] كان يقرأ ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢﴾ يقول: لما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء[2].

وهذا من الإسرائيليات، والذي ثبت في القرآن هو أنه وجد عندها رزقاً دون تحديد نوعه، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۝٣٧﴾ آل عمران: ٣٧.

المسألة الثالثة: تفسير قوله تعالى: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ۝٣﴾ مريم: ٣.

يقول الطبري: "حين دعا ربه وسأله بنداء خفي، يعني: وهو مُستَسِرٌ بدعائه ومسألته إياه ما سأل، كراهة منه للرياء، روى قتادة في قوله: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ۝٣﴾ أي: سراً، وإن الله يعلم القلب النقي ويسمع الصوت الخفي"[3].

---

[1] يَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ اللَّيْثِيُّ، كنيته أبو سليمان وقيل أبو سعيد، من بني كنانة، وكان من أهل البصرة، وكان نحويا صاحب علم بالعربية والقرآن، ثم أتى خراسان فنزل مور وولي القضاء بها، فكان. ابن سعد، الطبقات الكبرى (٢٦٠/٧)، (ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار (٢٠٣/١).

[2] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤٧٩/٥).

[3] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (١٤٢/١٨).

وقال ابن جريج[١]: "لا يريد رياءً"، وقال السدي[٢] " دعا ربه سراً".[٣] وذكر مثله في الدر عن ابن مسعود[٤].

تعقيب:

إنّ الناظر في الأقوال السابقة، لا يجد خلافاً حقيقياً بينها، وإنّما هو خلاف ظاهري؛ وهذا ما يُسمى باختلاف التنوع، أو اختلاف العبارة، فالإسرار بالدعاء من علامات عدم إرادة الرياء، وقد بيّن الشيخ محمّد حسين الذهبي في كتابه (التفسير والمفسرون) أن غالب ما صحّ من التفسير بالمأثور إنما هو راجع إلى هذا النوع من الاختلاف، بخلاف اختلاف التضاد والتباين؛ حيث قال: " كان الخلاف بين الصحابة فى التفسير قليلاً جداً، وكذا بين التابعين وإن كان أكثر منه بين الصحابة ...، وإذا نحن تتبعنا ما نُقل لنا من أقوال السَلَف فى التفسير، وجمعنا ما هو مبثوث فى كتب التفسير بالمأثور لخرجنا بادئ الرأي بكثير من الأقوال المختلفة فى المسألة الواحدة؛ فقول الصحابي يخالف قول صحابي آخر، وقول التابعي يخالف قول تابعي آخر، بل كثيراً ما نجد قولين مختلفين فى المسألة الواحدة، وكلاهما منسوب لقائل واحد، فهل معنى هذا أن الخلاف فى التفسير قد اتسعت دائرته على عهد الصحابة والتابعين، وهل معنى هذا أن الصحابي أو التابعي يناقض نفسه فى

---

[١] أبو خالد وأبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، القرشي بالولاء المكي، مولى أمية بن خالد بن أسيد، توفي سنة تسع وأربعين ومائة، وقيل سنة خمسين، وقيل إحدى وخمسين ومائة. (ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ط٠ ١٩٩٠ (١٦٣/٣))، (الداودي، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين (المتوفى: ٩٤٥هـ)، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية –بيروت، جزءان (٣٥٩/١)).

[٢] اسماعيل بن عبد الرحمن الكوفي المفسر المشهور ، كان عالما بالتفسير، توفي سنة ١٢٧هـ (الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (المتوفى: ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، حققه مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣ ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م،،٢٥ جزءً. (٢٦٤/٥ – ٢٦٥)، (الأدنه وي، طبقات المفسرين (١٥/١)).

[٣] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٤٢/١٨ – ١٤٣).

[٤] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤٧٩/٥)

المسألة الواحدة؟، لا؛ فدائرة الخلاف لم تتسع، ولم يناقض الصحابي أو التابعي نفسه؛ وذلك لأن غالب ما صح عنهم من الخلاف فى التفسير يرجع إلى اختلاف عبارة مثلاً، أو اختلاف تنوع، لا إلى اختلاف تباين وتضاد، كما ظنه بعض الناس فحكاه على أنه أقوال متباينة لا يرجع بعضها إلى بعض"[١].

المسألة الرابعة: تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ٤﴾ مريم: ٤.

يقول الطبري في بيان معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي﴾: "فكان نداؤه الخفي الذي نادى به ربه أن قال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي﴾ يعني بقوله (وَهَنَ) ضعف ورقّ من الكِبرَ. وقال قتادة: ضعف العظم مني"[٢]، ذكر مثله في الدر عن سعيد بن جبير، وقال مجاهد: "نحل العظم[٣].

وهذه العبارات لمعنى واحد، فلا خلاف.

أمّا قوله تعالى: ﴿وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ٤﴾، فيبين الطبري أنّ معنى ذلك: "ولم أشْق يا رب بدعائك؛ لأنك لم تخيب دعائي قبلُ إذ كنت أدعوك في حاجتي إليك، بل كنت تجيب وتقضي حاجتي قبلك"[٤]، ذكر مثله عن ابن جريج[٥].

---

[١] الذهبي، التفسير والمفسرون (٩٨/١).

[٢] الطبري، جامع البان في تأويل القرآن (١٤٣/١٨).

[٣] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤٧٩/٥).

[٤] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٤٣/١٨).

[٥] يُنظر: المرجع السابق، (١٨/ ١٤٣).

المسألة الخامسة: تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥﴾ مريم: ٥.

يقول الطبري: "وإني خفت بني عمي وعصبتي من ورائي، ...من بعدي أن يرثوني، وقيل: عَنَي بقوله (من ورائي) من قدّامي ومن بين يدي"[١].

واختُلف في معنى الموالي على قولين:

- الأوّل: الكلالة، رُوي ذلك عن ابن عباس وأبي صالح[٢].
- الثاني: العصبة، رُوي ذلك عن أبي صالح ومجاهد[٣] وقتادة والسدي[٤]، وذُكر في الدر مثله عن ابن عباس[٥].

والقول الثاني هو ما ذهب إليه معظم المفسرين كابن كثير والنسفي، وتستخدمه العرب في كلامها.[٦]

---

[١] الطبري، جامع البان في تأويل القرآن (١٤٤/١٨).

[٢] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٤٤/١٨).

[٣] مجاهد بن جبر، أبو الحجاج، المكي، مولى عبد الله بن السائب المخزومي، روي أنه كان يسأل أهل الكتاب، توفي بمكة سنة ثلاث ومائة سنة وقيل اثنتين ومائة سنة وهو ساجد. انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى (٤٦٦/٥). (البخاري، التاريخ الكبير (٤١/٧)).

[٤] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٤٤/١٨).

[٥] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤٨٠/٥).

[٦] يُنظر: ابن كثير، ابو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، حققه سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢ ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ٨ أجزاء (٢١٢/٥)؛ النسفي، أبو البركات عبد الله ابن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١ ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ٣ أجزاء (٣٢٦/٢)؛ الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت -لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، (٣٦١/٣).

أما قوله تعالى: ﴿وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝٥﴾، فيقول الطبري في بيان معناه: "وكانت زوجتي لا تلد -يقال منه: رجل عاقر وامرأة عاقر بلفظ واحد-... فارزقني من عندك ولداً وارثاً ومعيناً".[١]

المسألة السادسة: قوله تعالى: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ۝٦﴾ مريم: ٦.

يقول الطبري في بيان معنى قوله تعالى: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ﴾: "يرثني من بعد وفاتي مالي، ويرث من آل يعقوب النبوة، وذلك أن زكريا كان من ولد يعقوب"[٢].

واختلفوا في معنى "يرثني" على أقوال:

قال مجاهد: "كان وراثته علماً"، وقال الحسن[٣]: "نبوته وعلمه:، وقال الحسن عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "رحم الله أخي زكريا ما كان عليه من ورثة ماله حين يقول فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب"[٤]، وقال السدي: "يرث نبوتي ونبوة آل يعقوب"، وقال أبو صالح: يرث مالي ويرث من آل يعقوب النبوة، ويكون نبياً كما كان آباؤه أنبياء[٥]، ومثله قال ابن عباس في الدر.[٦]

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٤٥/١٨).

[٢] المرجع السابق، (١٤٥/١٨).

[٣] الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. ولد بالمدينة وتوفي بالبصرة سنة ١١٠هـ ٧٢٨م (الأدنه وي، طبقات المفسرين (١٣/١)، (الزركلي، الأعلام (٢٢٦/٢)).

[٤] أخرجه الطبري في جامع البيان في تأويل القرآن (١٤٦/١٨)، ذكره ابن كثير في تفسيره وقال: وهذه مرسلات لا تعارض الصحاح، والله أعلم (٢١٣/٥-٢١٤) والحديث ضعيف؛ لأنه مرسل.

[٥] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٤٥/١٨-١٤٦).

[٦] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤٨٠/٥).

والوراثة هنا تكون للعلم والنبوة لا للمال؛ لأمور منها:

١. لأنه يبعد أن يشفق زكريا وهو نبي من الأنبياء أن يرثه بنو عمه ماله[١].

٢. الأدلة الواردة على أن الأنبياء –صلوات الله وسلامه عليهم– لا يورث عنهم المال، وإنما يورث عنهم العلم والدين، ومنها ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما عن أبي بكر الصديق –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: «لا نورث ما تركنا صدقة»[٢].

٣. ورد استعمال كلمة الإرث لإرث العلم والنبوة في غير آية وحديث، منها: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ﴾ النمل: ١٦، فقال: ﴿وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ﴾ كقوله: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ﴾ أي في النبوة، إذ لو كان في المال لما خصه من بين إخوته بذلك، ولما كان في الإخبار بذلك فائدة كبيرة، إذ من المعلوم المستقر في جميع الشرائع والملل أن الولد يرث أباه، وكذا قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ﴾ فاطر: ٣٢.[٣]

وإذا قيل إنّ العلم والنبوة لا يورثان، فإن ذلك يكون على سبيل الدعاء لا التلازم، وذلك كقوله تعالى في دعاء موسى ربه ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩﴾ طه: ٢٩، فاستجاب له ربه.

---

[١] البغوي، محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (المتوفى: ٥١٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، حققه عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط١ ١٤٢٠هـ، ٥ أجزاء، (٢٢٦/٣).

[٢] البخاري، صحيح البخاري، كتاب عقاب فرض الخمس (٧٩/٤)، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا نورث ما تركنا صدقة) (١٤٩/٨)، مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب حكم الفيء (١٣٧٧/٣).

[٣] الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣٦١/٣-٣٦٣).

أما في بيان معنى قوله تعالى: ﴿وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ٦﴾ فيقول الطبري: "واجعل يا رب الولي الذي تهبه لي مرضياً ترضاه أنت ويرضاه عبادك ديناً وخَلْقاً وخُلُقاً، والرضي فعيل، صُرف من مفعول إليه"[1].

تعقيب:

لم يذكر الإمام الطبري شيئاً من المأثور في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ٦﴾، وفي هذا المقام يظهر اجتهاد الطبري في تفسيره، لاسيّما في الجانب اللغوي؛ وذلك بقوله: "والرضي فعيل، صُرف من مفعول إليه"، وفي هذا المقام من (الدر المنثور) يتوقّف السيوطي؛ فلم يورد مرويات عن السلف تبيّن معنى (رضياً)، ولم يجتهد الإمام في بيان معنى ذلك، وهو بذلك منسجم مع منهجه الذي يسير عليه في تفسيره، وهو غرض سرد المرويات.

المسألة السابعة: تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ٧﴾ مريم: ٧.

يقول الطبري في تفسيره: "فاستجاب له ربه، فقال له: يا زكريا إنا نبشرك بهبتنا لك، غلاماً اسمه يحيى، قال قتادة: "إنما سماه الله يحيى لإحيائه إياه بالإيمان""[2].

---

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٤٥/١٨).

[2] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٤٧/١٨).

واختلفوا في تفسير قوله تعالى: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾، فقال بعضهم: معناه لم تلد مثله عاقر قط، وروي ذلك عن ابن عباس، وقال آخرون: بل معناه، لم نجعل له من قبله مثلاً، رواه الطبري عن مجاهد[١]، وذكر في الدر مثله عن سعيد بن جبير وعطاء.[٢]

وقال آخرون: معنى ذلك، أنه لم يسمّ باسمه أحد قبله. رواه عن قتادة وابن جريج وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم[٣] والسدي.[٤] وذكر في الدر مثله عن ابن عباس وعكرمة[٥]. وهذا ما رجحه الطبري فقال: "لم يكن ليحيى قبل يحيا أحد سميَّ باسمه أشبه بتأويل ذلك، وإنما معنى الكلام: لم نجعل للغلام الذي نهب لك الذي اسمه يحيى من قبله أحداً"[٦].

وهذا ما اختاره؛ لأنه ظاهر الكلام في اللغة فلا عدول عن المعنى الظاهر إلا لقرينة ولا قرينة هنا.

المسألة الثامنة: تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨﴾ مريم: ٨.

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٤٧/١٨-١٤٨).

[٢] أبو محمد عَطاء بن أبي رَبَاح بن أسلم، وقيل سالم بن صفوان، من مولدِي الْجند نَشأ بِمَكَّة وَعلم الْكِتَابَة بهَا وَكَانَ مولى لبني فهر وَكَانَ عَالماً بِالْقُرْآنِ ومعانيه، واختلف في سنة وفاته فقيل توفّي سنة ١١٥ وقيل ١١٤(ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنبأء أبنأء الزمان (٢٦٢/٣) يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤٨٠/٥)،(الأدنه وي، طبقات المفسرين (١٤/١)).

[٣] عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدويّ، مولاهم المدنيّ، روى عن أبيه، وابن المنكدر، وعنه أصبغ، وقتيبة، وهاشم، ضعفوه، له «التفسير» و«الناسخ والمنسوخ»، أخرج له الترمذي وابن ماجه، مات سنة اثنتين وثمانين ومائة. (الداودي، طبقات المفسرين (٢٧١/١)، (المزي، يوسف بن عبد الرحمن الكلبي (المتوفى: ٧٤٢هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، حققه د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة -بيروت، ط١ ١٤٠٠-١٩٨٠، ٣٥ جزءاً، (١١٤/١٧-١١٩)).

[٤] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن بالقرآن (١٤٨/١٨).

[٥] السيوطي، الدر المأثور في التفسير بالمأثور (٤٨١/٥).

[٦] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن بالقرآن (١٤٧/١٨).

يقول الطبري: " يقول تعالى ذكره: قال زكريا لما بشره الله بيحيى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ ومن أيّ وجه يكون لي ذلك، وامرأتي عاقر لا تحبل، وقد ضعُفت من الكبر عن مباضعة النساء بأن تقوّيني على ما ضعفت عنه من ذلك، وتجعل زوجتي ولوداً، فإنك القادر على ذلك وعلى ما تشاء، أم بأن أنكح زوجة غير زوجتي العاقر، يستثبت ربه الخبر، عن الوجه الذي يكون من قبله له الولد، الذي بشره الله به، لا إنكاراً منه صلى الله عليه وسلم حقيقة كون ما وعده الله من الولد، وكيف يكون ذلك إنكاراً منه بأن يرزقه الولد الذي بشَّره به، وهو المبتدئ مسألة ربه ذلك بقوله: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ﴾ مريم: ٥ – ٦، بعد قوله: ﴿إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ مريم: ٤".[1]

قال السدي: نادى جبرائيل زكريا ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾ مريم: ٧، فلما سمع النداء جاء الشيطان فقال: يا زكريا إن الصوت الذي سمعت ليس من الله، إنما هو من الشيطان يسخر بك، ولو كان من الله لأوحاه إليك كما يوحي إليك غيره من الأمر، فشك وقال: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ عمران: ٤٠، يقول: "من أين يكون ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ﴾ آل عمران: ٤٠"[2]، ويستبعد الشنقيطي هذا القول؛ لأنه لا يعقل أن يلتبس على زكريا نداء الملائكة بنداء الشيطان. [3]

---

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن بالقرآن (١٤٧/١٨).

[2] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٤٩/١٨).

[3] الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣٦٩/٣).

أمّا قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ٨﴾، فيقول الطبري: "وقد عتوت من الكبر فصرت نحل العظم يابسها"[١].

وقد اختلف في معنى (عتياً) فقال ابن عباس والضحاك: "يعني بالعتي الكبر" وقال مجاهد: "نحول العظم"، وقال قتادة: "وكان ابن بضع وسبعين سنة"، وقال ابن زيد: قال العتي: "الذي قد عتا عن الولد فيما يرى نفسه لا يولد له".[٢]

وجميعها علامات لكبر السن، فهذا من قبيل اختلاف التنوع، واختلاف العبارة.

وذكر السيوطي في الدر المنثور روايات في اختلافهم في سن سيدنا زكريا عليه السلام حينئذٍ:

قال الثوري[٣]: "كان ابن سبعين سنة، وقال ابن المبارك[٤] ستين سنة، وقال وهب بن منبه: ستين أو خمس وستين سنة".[٥]

ولم يرد فيه نص شرعي، ولا فائدة من تحديد السن ويكتفى بالعبرة وهي أن الله رزقه االولد على كِبر.

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٤٩/١٨).

[٢] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٤٩/١٨).

[٣] سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، من بني ثور بن عبد مناة، من مضر، أبو عبد الله: أمير المؤمنين في الحديث. كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى. ولد ونشأ في الكوفة، ومات بالبصرة سنة ١٦١. (ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنبأء أبناء الزمان (٣٩٠/٢-٣٩١))، (الزركلي، الأعلام (١٠٤/٣)) .

[٤] أبو عبد الرحمن، عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظليّ بالولاء، التميمي، المروزي : الحَافظ، شيخ الإسلام، جمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء. كان من سكان خراسان، اختلف في سنة وفاته فقيل توفي سنة ١٨١هـ وقيل سنة ١٨٢. (ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٣٢/٣-٣٤))، (الزركلي، الأعلام (١١٥/٤)).

[٥] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤٨٢/٥).

المسألة التاسعة: تفسير قوله تعالى:﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩﴾ مريم: ٩.

لم يرد فيه شيء من المأثور، قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: قال الله لزكريا مجيباً له ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾ يقول: هكذا الأمر كما تقول من أنّ امرأتك عاقر، وإنك قد بلغت من الكبر العتيّ، ولكن ربك يقول: خَلْقُ ما بشَّرتك به من الغلام الذي ذكرت لك أن اسمه يحيى عليّ هين، فهو إذن من قوله ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ كناية عن الخلق.

ويقول الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩﴾ يقول تعالى ذكره وليس خلق ما وعدتك أن أهبه لك من الغلام الذي ذكرت لك أمره منك مع كبر سنك، وعقم زوجتك بأعجب من خلقك، فإني قد خلقتك، فأنشأتك بشراً سوياً من قبل خلقي ما بشرتك بأني واهب لك من الولد، ولم تك شيئاً، فكذلك أخلق لك الولد الذي بشرتك به من زوجتك العاقر، مع عِتيك ووهن عظامك، واشتعال شيب رأسك".[1]

ولم يتوقّف السيوطي عند هذه الآية أيضاً؛ جرياً مع عادته في الاقتصار على المواضع التي ورد فيها تفسيرٌ بالمأثور.

المسألة العاشرة: تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝١٠﴾ مريم: ١٠.

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٥١/١٨).

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: قال زكريا: يا رب اجعل لي علماً ودليلاً على ما بشرتني به ملائكتك من هذا الغلام عن أمرك ورسالتك؛ ليطمئن إلى ذلك قلبي"[١]، واختلف السلف في معنى "سوياً" على قولين:

الأوّل: من جعلوا سوياً صفة لزكريا، أي أن لا تكلم الناس ثلاث ليالٍ وأنت سوي صحيح، لا علة بك من خرس ولا مرض يمنعك من الكلام، وروي ذلك عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وعكرمة وابن زيد ووهب بن منبه اليماني والسدي[٢]، ذكر نحوه في الدر عن الضحاك بن مزاحم[٣].

وقال آخرون: السوي من صفة الأيام، قالوا: ومعنى الكلام: قال: آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة ليالٍ متتابعات رواه عن ابن عباس[٤].

والقول الأوّل هو الأقرب لقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٤١﴾ آل عمران: ٤١، فلسانه اعتقل ثلاثة أيام بلياليها كما نفهم من جمع أيام الواردة في سورة مريم والليالي الواردة في سورة آل عمران، لكن قدرة الله عقلت لسانه عن الكلام في غير ذكر الله بل أمره بالذكر.[٥]

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٥١/١٨).

[٢] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٥١/١٨-١٥٢).

[٣] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤٨٣/٥)

[٤] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٥٢/١٨-١٥٣).

[٥] انظر تفسير البغوي (٢٢١/٥) وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢١٥/٥)، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣٧١/٣).

المسألة الحادية عشر: تفسير قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾ مريم: ١١.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: فخرج زكريا على قومه من مصلاه حين حبس لسانه عن كلام الناس، آية من الله له على حقيقة وعده إياه ما وعد. فكان ابن جريج يقول في معنى خروجه من محرابه... : أشرف على قومه من المحراب، ... وقال ابن زيد... المحراب: مصلاه، ... وقوله { فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ} أي: أشار إليهم"[١].

اختلف أهل التأويل في المعنى الذي به أوحى إلى قومه، فقال بعضهم: أوحى إليهم إشارة باليد، ذكر ذلك عن مجاهد ووهب بن منبه وقتادة[٢]، وذكر مثله في الدر عن محمد بن كعب وسعيد بن جبير[٣]. وقال آخرون: معنى أوحى: كتب، ذكر ذلك عن مجاهد والحكم[٤] والسدي[٥]، وذكر مثله في الدر عن ابن عباس[٦]. وقال آخرون: معنى ذلك: أمرهم، وذكر ذلك عن ابن زيد وقتادة.[٧]

وزاد في الدر عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟﴾ قال: صلوا[٨].

والكتابة والإشارة والأمر كلها داخلة في نطاق الوحي.

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٥٣/١٨).

[٢] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٥٣/١٨-١٥٤).

[٣] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤٨٣/٥-٤٨٤).

[٤] الحكم بن عتيبة، يكنى أبا عبد الله، كان ثقة فقيهاً عالماً عالياً رفيعاً كثير الحديث، توفي في الكوفة واختلف في سنة وفاته فقيل توفي سنة ١١٣ وقيل ١١٥. (ابن سعد، الطبقات الكبرى (٣٢٣/٦-٣٢٤)، (البخاري، التاريخ الكبير (٣٣٣/٢)).

[٥] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٥٤/١٨).

[٦] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤٨٣/٥).

[٧] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٥٤/١٨).

[٨] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤٨٤/٥).

وفي قوله تعالى: ﴿أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾ يقول الطبري: "قد يجوز في هذا الموضع أن يكون عنى به التسبيح الذي هو ذكر الله، فيكون أمرهم بالفراغ لذكر الله في طرفي النهار بالتسبيح، ويجوز أن يكون عنى به الصلاة فيكون أمرهم بالصلاة في هذين الوقتين، وكان قتادة يقول في قوله: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾ قال: أومأ إليهم أن صلوا بكرة وعشياً".[١]

وذكر في الدر عن أبي العالية: أمرهم بالصلاة بكرة وعشياً، وقال قتادة: البكرة صلاة الفجر، وعشياً صلاة العصر.[٢]

المسألة الثانية عشر: تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾ مريم: ١٢.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: فولد لزكريا يحيى، فلما ولد، قال الله له: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ﴾ يعني كتاب الله الذي أنزله على موسى –عليه السلام– وهو التوراة بقوة، يقول بجد"[٣]، روي ذلك عن قتادة ومجاهد، وقال ابن زيد: القوة: أن يعمل ما أمره الله به، ويتجنب ما نهاه الله عنه[٤]، وبمثله قال سعيد بن جبير في الدر.[٥]

وجميع هذه الأقوال بمعنى واحد.

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٥٤/١٨).
[٢] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤٨٤/٥).
[٣] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٥٥/١٨).
[٤] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٥٥/١٨).
[٥] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤٨٤/٥).

أما قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢﴾ فيقول الطبري في ذلك: "يقول تعالى ذكره: وأعطيناه الفهم لكتاب الله في حال صباه قبل بلوغه أسنان الرجال"[١]، وذكر في الدر مثله عن عكرمة ومجاهد[٢].

فقد روى معمر بن راشد[٣] أن الصبيان قالوا ليحيى: "اذهب بنا نلعب، فقال: ما للعب خلقت"[٤]، وذكر في الدر مثله عن ابن عباس وقتادة.[٥]

المسألة الثالثة عشر: تفسير قوله تعالى: ﴿وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ١٣﴾ مريم: ١٣.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: ورحمة منا ومحبة له آتيناه الحكم صبياً"، وقد اختلف أهل التأويل في معنى الحنان، فقال بعضهم: معناه الرحمة، ووجهوا الكلام إلى نحو المعنى الذي وجهناه إليه"[٦]، رُوي ذلك عن ابن عباس وعكرمة وقتادة والضحاك[٧]، وذكر مثله في الدر عن الحسن والربيع[٨].

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٥٥/١٨).

[٢] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤٨٤/٥).

[٣] معمر بن راشد أبو عروة البصري، سكن اليمن وهو معمر بن أبي عمر، اختلف في سنة وفاته فقيل توفي سنة ١٥٢ وقيل سنة ١٥٣ (البخاري، التاريخ الكبير (٣٧٨/٧)، (الذهبي، سير أعلام النبلاء (١٤/٧)).

[٤] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٥٥/١٨).

[٥] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤٨٥/٥).

[٦] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٥٥/١٨-١٥٦).

[٧] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٥٦/١٨).

[٨] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور بالتفسير في المأثور (٤٨٦/٥).

وقال قتادة: بل معنى ذلك: ورحمة من عندنا لزكريا، آتيناه الحكم صبياً، وفعلنا به الذي فعلناه، وقال مجاهد: معنى ذلك: وتعطفاً من عندنا عليه فعلنا ذلك[١]، وذكر في الدر عن ابن عباس[٢]، وقال عكرمة وابن زيد: بل معنى الحنان هو المحبة[٣]، وذكر في الدر مثله عن سعيد الجهني[٤]، "ووجهوا معنى الكلام إلى: ومحبة من عندنا فعلنا ذلك"[٥]، ولا تنافي بين تلك الأقوال.

أما قوله تعالى: ﴿وَزَكَوٰةٗۖ﴾، فيقول الطبري في تفسيره: "وهي الطهارة من الذنوب واستعمال بدنه في طاعة ربه"[٦]، رُوي ذلك عن قتادة وابن جريج والضحاك[٧]، وزاد في الدر عن قتادة، وزكاة، قال: صدقة، وقال ابن عباس: بركة[٨].

أمّا قوله تعالى: ﴿وَكَانَ تَقِيّٗا ١٣﴾، يقول الطبري: "يقول الله تعالى ذكره: وكان لله خائفاً مؤدياً فرائضه، مجتنباً محارمه مسارعاً في طاعته، ... عن ابن عباس في قوله ﴿وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ١٣﴾، قال: طهر فلم يعمل بذنب".[٩]

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٥٦/١٨).
[٢] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤٨٥/٥).
[٣] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٥٧/١٨).
[٤] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤٨٦/٥).
[٥] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٥٧/١٨).
[٦] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٥٩/١٨).
[٧] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٥٧/١٨، ١٥٩).
[٨] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤٨٦/٥).
[٩] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٥٩/١٨).

المسألة الرابعة عشر: تفسير قوله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾ مريم: ١٤.

لم يرد فيها شيء من المأثور، قال الطبري: يقول تعالى جل ذكره: وكان براً بوالديه، مسارعاً في طاعتهما ومحبتهما، غير عاق بهما، يقول جل ثناؤه ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾ أي ولم يكن مستكبراً عن طاعة ربه وطاعة والديه، ولكنه كان لله ولوالديه متواضعاً متذللاً يأتمر لما أمر به، وينتهي عما نهي عنه، لا يعصي ربه ولا والديه".[1]

المسألة الخامسة عشر: تفسير قوله تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾ مريم: ١٥.

في الآية حديث عن فضائل يحيى بن زكريا –عليهما السلام–.

يقول الطبري: "وأمان من الله يوم ولد، من أن يناله الشيطان من السوء، بما ينال به بني آدم، وذلك أنه روي عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: «كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب إلا ما كان من يحيى بن زكريا»[2]، رواه عن ابن المسيب وقتادة[3]، وذكر في الدر مثله عن عمرو بن العاص.[4]

---

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٦٠/١٨).

[2] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٦٠/١٨)؛ والحديث أخرجه الحاكمِ، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله الطهماني النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، حققه مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية –بيروت، ط١ ١٤١١– ١٩٩٠، ٤ أجزاء، باب تفسير سورة مريم (٤٠٤/٢)، (٢٧٢/٤)، قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

[3] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٦٠/١٨).

[4] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤٨٨/٥).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾، يقول الطبري: "وأمان من الله تعالى ذكره له من فتن القبر، ومن هول المطلع...، وأمان له من عذاب الله يوم القيامة، يوم الفزع الأكبر، من أن يروعه شيء، أو أن يفزعه ما يفزع الخلق"[١]، قال سفيان بن عيينة[٢]: "أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد فيرى نفسه خارجاً مما كان فيه، ويوم يموت فيرى قوماً لم يكن عاينهم، ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر عظيم، فأكرم الله فيها يحيى بن زكريا، فخصه بالسلام عليه فقال: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾"[٣]، وقال الحسن البصري: "إن عيسى ويحيى التقيا، فقال له عيسى: استغفر لي، أنت خير مني، فقال له الآخر: استغفر لي، أنت خير مني، فقال له عيسى: أنت خير مني، سلمت على نفسي، وسلم الله عليك، فعرف والله فضلها".[٤]

وزاد في الدر أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "أما إنّه لا ينبغي أن يكون أحد خيراً من يحيى بن زكريا أما سمعتم الله كيف وصفه في القرآن ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ إلى قوله:

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٦٠/١٨).

[٢] أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران، ميمون الهلالي، الكوفي ثم المكي، كان إماماً عالماً ثبتاً حجة زاهداً ورعاً مجمعاً على صحة حديثه، في التفسير وله تفسير القرآن، توفي بمكة في رجب سنة ١٩٨، (ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٣٩١/٢–٣٩٣))، (الأدنه وي، طبقات المفسرين (٢٣/١)) .

[٣] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٦١/١٨)، ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، الزهد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١ ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ جزء واحد، (٦٥/١).

[٤] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٦١/١٨).

﴿وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾﴾، لم يعمل سيئة قط، ولم يهم بها"[١]، وذكر نحوه عن ابن عباس ويحيى بن جعدة[٢] وضمرة بن حبيب[٣] وعلي بن أبي طلحة[٤].

- **صفات يحيى عليه السلام:**

عن كعب قال: كان يحيى لا يقرب النساء ولا يشتهيهن، وكان شاباً، حسن الوجه، لين الجناح، قليل الشعر، قصير الأصابع، طويل الأنف، أقرن الحاجبين، رقيق الصوت، كثير العبادة، قوياً في الطاعة[٥].

وهذا من الإسرائيليات أفوض علمها لله، وقد قسّم ابن تيمية الإسرائيليات إلى ثلاثة أنواع كما يلي:

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح.

وثانيها: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

وثالثها: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجوز حكايته؛ لما تقدم، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني؛ ولهذا يختلف الكتاب في مثل هذا كثيراً.[٦]

---

[١] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤٨٩/٥).

[٢] يحيى بن جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي، القرشي، روى عنه عمرو بن دينار، وحبيب بن أبي ثابت توفي سنة ٨١–٩٠. (البخاري، التاريخ الكبير (٢٦٥/٨))، (الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (١٠١٧/٢)).

[٣] ضمرة بن حبيب بن صهيب الزبيدي، أبو عتبة الشامي، كان ثقة. (ابن سعد، الطبقات الكبرى (٤٦٤/٧)، (البخاري، التاريخ الكبير (٣٣٧/٤)).

[٤] علي بن أبي طلحة الهاشمي، سالم بن مخارق أبو الحسن الجزري، كان من كبار التابعين، عالماً بالقرآن ومعانيه وأحكامه وأخذ التفسير عن مجاهد وعن سعيد بن الجبير، توفي سنة ١٤١–١٥٠. (الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (٩٣٢/٣))، (الأدنه وي، طبقات المفسرين (٢٤/١)).

[٥] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤٨٩/٥).

[٦] ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، مقدمة في أصول التفسير، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٤٩٠هـ/١٩٨٠م (٤٢/١).

- **قتله:**

عَن ابْن عَبَّاس: أَن رَسُول الله –صلى الله عَلَيْهِ وَسلم– لَيْلَة أسرِي بِهِ رأى زَكَرِيًّا فِي السَّمَاء فَسلم عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا يحيى خبرني عَن قَتلك كَيفَ كَانَ وَلم قَتلك بَنو إِسْرَائِيل قَالَ: يَا مُحَمَّد إِن يحيى كَانَ خير أهل زَمَانه وأجملهم وأصبحهم وَجهاً وَكَانَ كَمَا قَالَ الله: ﴿وَسَيِّدًاوَحَصُورًا﴾ آل عمران: ٣٩، وَكَانَ لَا يحْتَاج إِلَى النِّسَاء فهويته امْرَأَة ملك بني إِسْرَائِيل وَكَانَت بغية فَأرْسلت إِلَيْهِ وَعَصَمَهُ الله وَامْتنع يحيى وأبى عَلَيْهَا، وأجمعت على قتل يحيى، وَلَهُم عيد يَجْتَمعُونَ فِي كل عَام، وَكَانَت سنة الْملك أَن يوعد وَلَا يخلف وَلَا يكذب فَخرج الْملك للعيد فَقَامَتْ امْرَأَته فشيعته وَكَانَ بهَا معجباً وَلم تكن تسأله فِيمَا مضى فَلَمَّا أَن شيعته قَالَ الْملك: سليني فَمَا تسأليني شَيْئا إِلَّا أَعطيتك قَالَت: أُرِيد دم يحيى بن زَكَرِيًّا، قَالَ لَهَا: سليني غَيره، قَالَت: هُوَ ذَاك، قَالَ: هُوَ لَك فَبعث جلاوزتها[1] إِلَى يحيى وَهُوَ فِي محرابه يُصَلِّي وَأَنا إِلَى جَانِبه أُصَلِّي فذبح فِي طست وَحمل رَأسه وَدَمه إِلَيْهاَ، وقَالَ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: فَمَا بلغ من صبرك قَالَ: مَا انفتلت من صَلَاتي فَلَمَّا حمل رَأسه إِلَيْهَا وَوضع بَين يَديهَا –فَلَمَّا أَمْسوا– خسف الله بِالْملكِ وَأهل بَيته وحشمه، فَلَمَّا أَصْبحُوا قَالَت بَنو إِسْرَائِيل: لقد غضب إِلَه زَكَرِيًّا لزكريا فتعالوا حَتَّى نغضب لملكنا فنقتل زَكَرِيًّا فَخَرجُوا فِي طلبي ليقتلوني فَجَاءَنِي النذير فهربت مِنْهُم وإبليس أمامهم يدلهم عَليّ: فَلَمَّا أَن تخوفت أَن لَا أعجزهم عرضت لي شَجَرَة فنادتني فَقَالَت: إِلَيّ وانصدعت لي فَدخلت فِيهَا وَجَاء إِبْلِيس حَتَّى أَخذ بِطرف رِدَائي والتأمت الشَّجَرَة وَبَقِي طرف رِدَائي خَارِجاً من الشَّجَرَة وَجَاء بَنو إِسْرَائِيل فَقَالَ إِبْلِيس: أما رَأَيْتُمُوهُ دخل هَذِه الشَّجَرَة هَذَا

---

[1]هو جلواز من الجلاوزة وهم الشرط، ينظر الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، أساس البلاغة، حققه محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١ ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م، جزأين (١٤٤/١).

طرف رِدَائه دخل بِهِ الشَّجَرَة فَقَالُوا: نحرق هَذِه الشَّجَرَة فَقَالَ إِبْلِيس: شقوه بِالْمِنْشَارِ شقاً، قَالَ: فشققت مَعَ الشَّجَرَة بِالْمِنْشَارِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: يَا زَكَرِيَّا هَل وجدت لَهُ مساً أَو وَجعاً قَالَ: لَا إِنَّمَا وجدت تِلْكَ الشَّجَرَة جعل الله روحي فِيهَا، وعَن وهب بن مُنَبّه أَن زَكَرِيَّا هرب وَدخل جَوف شَجَرَة فَوضع على الشَّجَرَة الْمِنْشَار وَقطع نصفين فَلَمَّا وَقع الْمِنْشَار على ظَهره أَنَّ فَأوحى الله يَا زَكَرِيَّا إِمَّا أَن تكف عَن أنينك أَو أقلب الأَرْض وَمن عَلَيْهَا فَسكت حَتَّى قطع نِصْفَيْنِ[1].

المطلب الثالث: ملاحظات عامّة على المبحث

في ثنايا تفسير آيات هذا المبحث تم التطرّق لبعض الملاحظات الجزيئة، وقد أدرجتها تحت عنوان تعقيب، إلا أنّ ذلك لا يمنع من إعادة تسطير تلك الملاحظات بشكل عام، وترتيبها في مكان واحد، وذلك في المسائل التالية:

المسألة الأوّلى: جلُّ اختلاف الأقوال في التفسير بالمأثور هو من قبيل اختلاف التنوّع والعبارة، لا اختلاف التضاد والتباين.

وقد بدا ذلك جلياً في مسائل هذا المبحث؛ فعلى سبيل المثال: في تفسير ﴿عِتِيًّا ۝٨﴾ في قوله تعالى على لسان زكريا: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨﴾ مريم: ٨، ورد عن ابن عبّاس والضحّاك أن معنى ذلك: الكِبرَ، وعن مجاهد: نحول العظم، وعن قتادة: أن زكريا عليه السلام كان

---

[1] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤٨٩/٥-٤٩٠). أخرجه ابن عساكر، تاريخ دمشق (٥٦/١٩). وقال ابن كثير في البداية والنهاية: "هَذَا سِيَاقٌ غَرِيبٌ، وَحَدِيثٌ عَجِيبٌ، وَرَفْعُهُ مُنْكَرٌ، وَفِيهِ مَا يُنْكَرُ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَلَمْ نَرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَحَادِيثِ الْإِسْرَاءِ ذِكْرًا لِزَكَرِيَّا، عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِلَّا فِي هَذَا الْحَدِيثِ". ينظر ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١ ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ٢١جزءً (٤١٣/٢).

ابن بضع وسبعين سنة؛ فكلّ هذه الأقوال هي من قبيل اختلاف العبارة، وكلّها دالّة على معنى الكبر، وهكذا.

المسألة الثانية: ورود بعض الروايات الإسرائيلية، لاسيّما في المسألة الأخيرة، وهي الروايات الواردة بشأن يحيى عليه السلام، وهذه الروايات لا يُعلم صحتها، ولا كذبها، فهي روايات مسكوت عنها، لاتصدق، ولا تكذب؛ فأفوض علمها إلى الله –عز وجل–، وقد علل الذهبي في كتابه (التفسير والمفسرون) وجود مثل هذه الروايات في التفسير؛ حيث قال: "دخل فى التفسير كثير من الإسرائيليات والنصرانيات، وذلك لكثرة مَن دخل من أهل الكتاب فى الإسلام، وكان لا يزال عالقاً بأذهانهم من الأخبار ما لا يتصل بالأحكام الشرعية، كأخبار بدء الخليقة، وأسرار الوجود، وبدء الكائنات، وكثير من القصص، وكانت النفوس ميَّالة لسماع التفاصيل عما يشير إليه القرآن من أحداث يهودية أو نصرانية، فتساهل التابعون فزجوا فى التفسير بكثير من الإسرائيليات والنصرانيات بدون تحرٍّ ونقد، وأكثر من رُوي عنه فى ذلك من مسلمى أهل الكتاب: عبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج. ولا شك أن الرجوع إلى هذه الإسرائيليات فى التفسير أمر مأخوذ على التابعين كما هو مأخوذ على مَن جاء بعدهم"[1].

المسألة الثالثة: بعض الآيات لم يرد شيءٌ من المأثور فيها ، وهذا يقود للحديث عن منهج الطبري والسيوطي في مثل تلك الموضوعات .

[1] الذهبي، التفسير والمفسرون (٩٧/١).

المسألة الرابعة: ملاحظات على منهج الإمامين الطبري والسيوطي في تفسيريهما.

إن من أبرز الملاحظات على التفسيرين، التي يمكن الخروج بها من خلال هذا المبحث هي:

١. الإمام السيوطي أكثر جمعاً للمرويات من الإمام الطبري، وقد لاحظت ذلك من خلال إيراده بعض المرويات التي لم يذكرها الطبري، ويمكن تعليل ذلك بكون السيوطي متأخراً عن الطبري، فكان لديه من المراجع في المرويات ما لم يكن لدى الطبري، ومن الأمثلة على زيادات السيوطي، ما جاء عند تفسير قوله تعالى: (وزكاة)، فقد أورد الطبري عن قتادة وابن جريج والضحاك، أن معنى ذلك الطهارة من الذنوب واستعمال بدنه في طاعة ربه[١]، وزاد السيوطي عن قتادة أنّ معنى ذلك: صدقة، وعن ابن عباس أن معنى ذلك: بركة[٢]، وهكذا.

٢. في مواضع الآيات التي لم يرد فيها تفسير بالمأثور يتوقف السيوطي ولا يذكر شيئاً، بينما يفسّرها الطبري، ويستعين باللغة في ذلك، ومن المواضع التي توقّف فيها السيوطي، وعلّق عليها الطبري، ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ٦﴾ مريم: ٦؛ فيقول الطبري: "واجعل يا رب الولي الذي تهبه لي مرضياً ترضاه أنت ويرضاه عبادك ديناً وخَلقاً وخُلُقاً، والرضي فعيل، صُرف من مفعول إليه"[٣]، وهكذا.

هذه هي أبرز الملاحظات على هذا المبحث، وفي المبحث التالي تكملة تفسير سورة مريم بالمأثور، وذلك في قصة عيسى ابن مريم عليه السلام ومحاجة النصارى.

---

[١] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٥٧/١٨، ١٥٩).

[٢] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤٨٦/٥).

[٣] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٤٥/١٨).

المبحث الثاني

قصّة عيسى بن مريم عليه السلام ومحاجة النصارى

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا
فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ
رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ
قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ٢١ ۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ
مَكَانٗا قَصِيّٗا ٢٢ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣
فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥
فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ٢٦ فَأَتَتۡ
بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ٢٧ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ
أُمُّكِ بَغِيّٗا ٢٨ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ٢٩ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي
نَبِيّٗا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَىٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ٣١ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي
جَبَّارٗا شَقِيّٗا ٣٢ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ٣٣ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ
ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ٣٤ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٣٥ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي
وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٣٦ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ٣٧ أَسۡمِعۡ

بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ﴿٤٠﴾ مريم: ١٦ – ٤٠

تم التطرق في المبحث السابق للتفسير بالمأثور لقصة زكريا ويحيى عليهما السلام، وفي هذا المبحث أتطرق للتفسير بالمأثور للآيات المتعلقة بقصة عيسى ابن مريم عليهما السلام، ومحاجة النصارى.

المطلب الأوّل: مناسبة الآيات الكريمة لما قبلها ومعناها العام

"بعد أن ذكر الله تعالى قصة زكريا عليه السلام، وأنه أوجد منه في حال كبره وعقم زوجه ولداً زكياً مباركاً، أردف ذلك بذكر قصة مريم عليها السلام، وأنه أنجب منها ولداً من غير أب، لأنها أغرب من تلك القصة"[1] (فلما ذكر قصة زكريا ويحيى، وكانت من الآيات العجيبة، انتقل منها إلى ما هو أعجب منها، تدريجاً من الأعلى إلى الأدنى، فبدأ القول في قصّة مريم وولدها عيسى عليهما السلام بذكر مريم عليها السلام، وهذا من أعظم فضائلها، أن تذكر في الكتاب العظيم، الذي يتلوه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، تذكر فيه بأحسن الذكر، وأفضل الثناء، جزاءً لعملها الفاضل، وسعيها الكامل حين تباعدت عن أهلها مكاناً شرقياً واتخذت من دونهم ستراً ومانعاً، وهذا التباعد منها، واتخاذ الحجاب؛ لتعتزل وتنفرد بعبادة ربها، وتقنت له في حالة الإخلاص والخضوع والذل لله تعالى، إذ تفاجأت مفاجأة كبيرة بوجود رجل مكتمل سوي وهو جبريل عليه السلام في صورة جميلة، وهيئة حسنة لا عيب فيه ولا نقص؛ لكونها لا تحتمل رؤيته على ما هو عليه، فلما رأته في هذه الحال، وهي معتزلة عن أهلها منفردة عن الناس، وقد اتخذت الحجاب عن أعز الناس عليها وهم

[1] المراغي، تفسير المراغي (١٦/٤٠).

أهلها، خافت أن يكون رجلاً قد تعرض لها بسوء وطمع فيها، فاعتصمت بربها واستعاذت منه، فقالت له: إن كنت تخاف الله وتعمل بتقواه فاترك التعرض لي، فلما رأى جبريل منها الروع والخيفة قال: إنما وظيفتي وشغلي تنفيذ رسالة ربي فيك؛ لأهب لك غلاماً زكياً، أي أنه مطهر من الخصال الذميمة واتصافه بالخصال الحميدة فتعجبت من وجود الولد من غير أب، فقالت: أنّى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر ولم أكن امرأة بغياً والولد لا يوجد إلا بذلك؟)[1]، (فقال سيدنا جبريل عليه السلام: إن هذا الأمر الخارق الذي لا تتصوري وقوعه، هين على الله. فأمام القدرة التي تقول للشيء كن فيكون، كل شيء هين، سواء جرت به السنة المعهودة أو جرت بغيره، وأن الله أراد أن يجعل هذا الحادث العجيب آية للناس، وعلامة على وجوده وقدرته وحرية إرادته، ورحمة لبني إسرائيل أولاً، وللبشرية جميعاً، بإبراز هذا الحادث الذي يقودهم إلى معرفة الله وعبادته وابتغاء رضاه، وأن هذا الغلام آية للناس ورحمة من الله وأن هذا الأمر قد انتهى وتحقق وقوعه)[2]،(فحملت مريم بعيسى – عليه السلام– وابتعدت به إلى مكان بعيد عن أعين الناس، وألجأها ألم الولادة إلى جذع نخلة متمنية حينها أنها لم تكن شيئاً، فناداها عيسى وأخبرها مواسياً أن لا تحزن، وأن تحتها جدول ماء تشرب منه، وهزي بجذع النخلة تساقط عليك رطباً غضاً؛ لتأكلي منه، وتطيبي نفساً بالمولود، وأخبري الناس أنك نذرت لله صوماً عن الكلام، فجاءت قومها تحمله، فلما رأوها كذلك قالوا لها: يا مريم لقد جئت أمراً عظيماً مفترىً، ما كان أبوك رجل سوء يأتي الفواحش، وما كانت أمك امرأة سوء تأتي البِغاء، فأشارت إليه ليكلموه، فردوا عليها منكرين كيف نكلم طفلاً رضيعاً، فقال لهم عيسى –عليه السلام–: إني عبد الله أعطاني الإنجيل وجعلني نبياً، وجعلني عظيم الخير والنفع حيثما وُجِدْتُ، وأوصاني

---

[1] السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (٤٩١/١).

[2] قطب، سيد، إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، في ظلال القرآن، (٢٣٠٦/٤).

بالمحافظة على الصلاة وإيتاء الزكاة ما بقيت حياً، وجعلني باراً بوالدتي، ولم يجعلني متكبراً ولا شقياً، عاصياً لربي، والسلامة والأمان عليَّ من الله يوم وُلِدْتُ، ويوم أموت، ويوم أُبعث حياً يوم القيامة، هذه هي قصة عيسى ابن مريم –عليه السلام– من غير شك أو مرية، فما ينبغي لله أن يتخذ من عباده ولداً، وكل شيء بأمره بين كاف ونون، وقال عيسى لقومه: إني مثلكم عبد لله نعبده، فهذا هو الصراط المستقيم، ومع هذا اختلف أهل الكتاب في عيسى، فمنهم من جعله إلهاً، ومنهم من قال هو ابن الله، وآخرون قالوا ثالث ثلاثة، فالهلاك للذين كفروا يوم القيامة، فما أسمعهم وما أبصرهم يومهم ذلك، لكن لا ينفعهم يوم القيامة شيء، فقد فات الأوان، ثم أمر سبحانه نبيه أن ينذر الناس جميعاً، وأنذر يوم يتحسر الظالمون على ما فرّطوا في جنب الله حين فرغ من الحساب، فحينها يذبح الموت، ويخلد أهل الجنة بالجنة، وأهل النار بالنار)[1].

المطلب الثاني: التفسير بالمأثور للآيات الكريمة

وفيه عدّة مسائل:

المسألة الأوّلى: تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦﴾ مريم: ١٦.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد –صلى الله عليه وسلم–: واذكر يا محمد في كتاب الله الذي أنزله عليك بالحقّ مريم ابنة عمران، حين اعتزلت أهلها، وانفردت عنهم، وهو افتعل من النَّبذ، والنَّبذ: الطَّرْح"[2].

---

[1] المراغي، تفسير المراغي (١٦/٤٣–٥٣).

[2] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/١٦١).

وبمثل ذلك قال قتادة وابن عباس والسدي، وقال ابن عباس: إني لأعلم خلق الله لأيّ شيء اتخذت النصارى المشرق قبلة لقول الله: ﴿إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦﴾، فاتخذوا ميلاد عيسى قبلة، وعنه أيضاً، قال: إن أهل الكتاب كتب عليهم الصلاة إلى البيت، والحج لله، وما صرفهم عنهما إلا قول ربك ﴿إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦﴾ فصلّوا قبل مطلع الشمس، وقال السدي: خرجت مريم إلى جانب المحراب لحيض أصابها، وقيل: إنها إنما صارت بمكان يلي مشرق الشمس؛ لأن ما يلي المشرق عندهم كان خيراً مما يلي المغرب، وكذلك فيما ذُكر عند العرب.[1]

وظاهر النص لا يظهر منه ترجيح أحد الأقوال على غيره، ولعل الظاهر أنهم اتخذوا الشرق قبلة لميلاد عيسى عليه السلام؛ لذا أصبح الشرق عندهم مطلع الأنوار، ونور عيسى عليه السلام خير من غيره.

المسألة الثانية: تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧﴾ مريم: ١٧.

قال الطبري: "فاتخذت من دون أهلها ستراً يسترها عنهم وعن الناس"[2].

وقال ابن عباس: أنها صارت بمكان يلي المشرق؛ لأن الله أظلها بالشمس، وجعل لها منها حجاباً، وقال السدي: من الجدران[3].

ولم أقف على قول للمفسرين يرجح قولاً على آخر، وجميعها أقوال إسرائيلية مسكوت عنها.

---

[1] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/١٦١-١٦٢).

[2] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/١٦٢).

[3] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/١٦٢-١٦٣).

أما قوله تعالى: ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧﴾، فيقول الطبري في تفسيره: "فأرسلنا إليها حين انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً، واتخذت من دونهم حجاباً: جبريل عليه السلام"[١].

وبمثل ذلك قال قتادة ووهب بن منبه وابن جريج، وقال السديّ: فلما طهرت، يعني مريم من حيضها، إذا هي برجل معها، وهو قوله ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧﴾[٢]، يقول الطبري: "فتشبه لها في صورة آدميّ سويّ الخلق منهم، يعني في صورة رجل من بني آدم معتدل الخلق"[٣].

المسألة الثالثة: تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨﴾ مريم: ١٨.

يقول الطبري: "فخافت مريم رسولنا، إذ تمثّل لها بشراً سوياً، وظنّته رجلاً يريدها على نفسها"[٤]، وبه قال ابن جريج[٥]، وذكر مثله في الدر عن مجاهد[٦]، وعن السدي ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧﴾ مريم: ١٧، فلما رأته فزعت منه وقالت: ﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨﴾، فقالت: إني أعوذ أيها الرجل بالرحمن منك، تقول: أستجير بالرحمن منك أن تنال مني ما حرمه عليك إن كنت ذا تقوى له تتقي محارمه، وتجتنب معاصيه؛ لأن من كان لله تقياً، فإنه يجتنب ذلك. ولو وجه ذلك إلى أنها عنت: إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تتقي الله في استجارتي استعذت به منك، كان القول

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٦٣/١٨).
[٢] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٦٣/١٨).
[٣] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٦٣/١٨).
[٤] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٦٣/١٨).
[٥] يُنظر: المرجع السابق (١٦٣/١٨-١٦٤).
[٦] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٠٠/٥).

وجيهاً، فهي عَلِمَتْ أَنَّهُ لَا تُوَتِّرُ الِاسْتِعَاذَةُ إِلَّا فِي التَّقِيِّ وَهُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ البقرة: ٢٧٨[١]، أَيْ أَنَّ شَرْطَ الْإِيمَانِ يُوجِبُ هَذَا، لَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُخْشَى فِي حال دون حال، وعن وهب بن منبه قال: ولا ترى إلا أنه رجل من بني آدم بخلاف الواقع الذي صرح به في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ آل عمران: ٤٥ [٢]، قال ابن زيد: قد علمت أن التقي ذو نهية.[٣] وذُكر في الدر مثله عن أبي وائل.[٤]

المسألة الرابعة: تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾ مريم: ١٩.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: فقال لها روحنا: إنما أنا رسول ربك يا مريم أرسلني إليك ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾"[٥]، وقال في الدر أن النفخ كان في جيب درعها وكمها، وعن قتادة في قوله تعالى: ﴿غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾ قال صالحاً.[٦]

---

[١] الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط٣– ١٤٢٠هـ، (٥٢١/٢١).

[٢] الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣٨٦/٣).

[٣] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٦٤/١٨).

[٤] هو شقيق بن سلمة الأسدي، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وسمع من الصحابة، اختلف في سنة وفاته فقيل توفي سنة ٨٣هـ وقيل ٩٩هـ. (أبو نعيم، معرفة الصحابة (١٤٩٤/٣)، (ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، حققه ووثقه وعلق عليه: مرزوق علي ابراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع –المنصورة، ط١ ١٤١١هـ–١٩٩١م (١٥٩/١). يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٠٠/٥).

[٥] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٦٤/١٨).

[٦] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٠٠/٥).

المسألة الخامسة: تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۝٢٠﴾ مريم: ٢٠.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: قالت مريم لجبريل من أي وجه يكون لي غلام؟ أمن قبل زوج أتزوج فأرزقه منه؟ أم يبتدئ الله في خلقه ابتداءً ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ من ولد آدم بنكاح حلال ﴿وَلَمْ أَكُ﴾ إذ لم يمسسني منهم أحد على وجه الحلال ﴿بَغِيًّا ۝٢٠﴾ بغيت ففعلت ذلك من الوجه الحرام، فحملته من زنا"[١]، وقال السدي في ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۝٢٠﴾ مثله.[٢] وذكر مثله في الدر عن سعيد بن جبير[٣].

المسألة السادسة: تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ۝٢١﴾ مريم: ٢١.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: قال لها جبريل: هكذا الأمر كما تصفين، من أنك لم يمسسك بشر ولم تكوني بغياً، ولكن ربك قال: هو عليّ هين: أي خلق الغلام الذي قلت أن أهبه لك عليّ هين لا يتعذّر عليّ خلقه وهبته لك من غير فحل يفتحلك"[٤].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ يقول الطبري: "وكي نجعل الغلام الذي نهبه لك علامة وحجة على خلقي أهبه لك. ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ﴾،... ورحمة منا لك، ولمن آمن به وصدقه

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٦٥/١٨).
[٢] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٦٥/١٨).
[٣] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٠٠/٥).
[٤] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٦٥/١٨).

أخلقه منك ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾،... وكان خلقه منك أمراً قد قضاه الله، ومضى في حكمه وسابق علمه أنه كائن منك"[١]، وبنحوه قال وهب بن منبه[٢].

المسألة السابعة: تفسير قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾﴾ مريم: ٢٢.

يقول الطبري: "فاعتزلت بالذي حملته، وهو عيسى، وتنحت به عن الناس مكاناً قصياً،... مكاناً نائياً قاصياً عن الناس"[٣]، وبنحو هذا قال ابن عباس ومجاهد[٤].

المسألة الثامنة: تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾ مريم: ٢٣.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: فجاء بها المخاض إلى جذع النخلة، واختلف في معنى ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ﴾"[٥]، فقال ابن عباس ومجاهد والسدي: المخاض ألجأها، وقال قتادة: اضطرها إلى جذع النخلة[٦]، وزاد في الدر عن الضحاك قال: أداها[٧].

فلا خلاف؛ لأن أداها وألجأها واضطرها فهي متقاربة في المعنى.

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/١٦٥).
[٢] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/١٦٥).
[٣] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/١٦٦).
[٤] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/١٦٦).
[٥] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/١٦٥-١٦٨).
[٦] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/١٦٥-١٦٨).
[٧] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥/٥٠٠).

واختلفوا في المكان الذي انتبذت مريم بعيسى لوضعه، وأجاءها فيه المخاض، فقال بعضهم: كان ذلك في أدنى أرض مصر، وآخر أرض الشام، وذلك أنها هربت من قومها لما حملت، فتوجهت نحو مصر هاربة منهم[1].

وذكر في الدر عن ابن عباس وأبي عبيد الله في قوله تعالى: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ كان جذعاً يابساً.[2]

ويذكر الطبري رواية عن وهب بن منبه في ذلك، حيث قال وهب بن المنبه: "لما اشتملت مريم على الحمل، كان معها قَرابة لها، يقال له يوسف النَّجار، وكانا منطلقين إلى المسجد الذي عند جبل صهيون، وكان ذلك المسجد يومئذٍ من أعظم مساجدهم، فكانت مريم ويوسف يخدمان في ذلك المسجد، في ذلك الزمان، وكانا لخدمتهما فضل عظيم، فرغبا في ذلك، فكانا يليان معالجته بأنفسهما، تحبيره وكناسته وطهوره، وكل عمل يعمل فيه، وكان لا يعمل من أهل زمانهما أحد أشدّ اجتهادًا وعبادة منهما، فكان أوّل من أنكر حمل مريم صاحِبُها يوسف؛ فلما رأى الذي بها استفظعه، وعظم عليه، وفظع به، فلم يدرِ على ماذا يضع أمرها، فإذا أراد يوسف أن يتهمها، ذكر صلاحها وبراءتها، وأنها لم تغب عنه ساعة قطّ؛ وإذا أراد أن يبرئها، رأى الذي ظهر عليها، فلما اشتدّ عليه ذلك كلمها، فكان أوّل كلامه إياها أن قال لها: إنه قد حدث في نفسي من أمرك أمر قد خشيته، وقد حَرَصت على أن أميته وأكتمه في نفسي، فغلبني ذلك، فرأيت الكلام فيه أشفى لصدري، قالت: فقل قولاً جميلاً. قال: ما كنت لأقول لك إلا ذلك، فحدثيني، هل ينبت زرع بغير بذر؟ قالت: نعم، قال:

---

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٦٨/١٨).

[2] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٠٠/٥).

فهل تنبت شجرة من غير غيث يصيبها؟ قالت: نعم، قال: فهل يكون ولد من غير ذكر؟ قالت: نعم، ألم تعلم أن الله تبارك وتعالى أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر، والبذر يومئذٍ إنما صار من الزرع الذي أنبته الله من غير بذر؛ أو لم تعلم أن الله بقدرته أنبت الشجر بغير غيث، وأنه جعل بتلك القدرة الغيث حياة للشجر بعد ما خلق كلّ واحد منهما وحده، أم تقول: لن يقدر الله على أن ينبت الشجر حتى استعان عليه بالماء، ولولا ذلك لم يقدر على إنباته؟ قال يوسف لها: لا أقول هذا، ولكني أعلم أن الله تبارك وتعالى بقدرته على ما يشاء يقول لذلك كن فيكون، قالت مريم: أو لم تعلم أن الله تبارك وتعالى خلق آدم وامرأته من غير أنثى ولا ذكر؟ قال: بلى، فلما قالت له ذلك، وقع في نفسه أن الذي بها شيء من الله تبارك وتعالى، وأنه لا يسعه أن يسألها عنه، وذلك لما رأى من كتمانها لذلك، ثم تولى يوسف خدمة المسجد، وكفاها كل عمل كانت تعمل فيه، وذلك لما رأى من رقة جسمها، واصفرار لونها، وكلف وجهها، ونتوّ بطنها، وضعف قوّتها، ودأب نظرها، ولم تكن مريم قبل ذلك كذلك؛ فلما دنا نفاسها أوحى الله إليها أن اخرجي من أرض قومك، فإنهم إن ظفروا بك عيروك، وقتلوا ولدك، فأفضت ذلك إلى أختها، وأختها حينئذٍ حُبلى، وقد بشرت بيحيى، فلما التقيا وجدت أمّ يحيى ما في بطنها خرّ لوجهه ساجداً معترفاً لعيسى، فاحتملها يوسف إلى أرض مصر على حمار له ليس بينها حين ركبت وبين الإكاف[1] شيء، فانطلق يوسف بها حتى إذا كان متاخماً لأرض مصر في منقطع بلاد قومها، أدرك مريم النفاس، ألجأها إلى آريّ حمار[2]، يعنى مذود الحمار، وأصل نخلة، وذلك في زمان أحسبه برداً أو حرّاً "الشكّ من أبي جعفر"، فاشتدّ على مريم المخاض؛

---

[1] (الإكاف) البرذعة (جمعها) أكف، أحمد الزيات وآخرون، المعجم الوسيط (٢٢/١).

[2] جعل لها معلفاً؛ يُنظر: أحمد الزيات وآخرون، المعجم الوسيط (١٥/١).

فلما وجدت منه شدّة التجأت إلى النخلة فاحتضنتها واحتوشتها الملائكة، قاموا صفوفًا محدقين بها"[١].

وقد رُوي عن وهب بن منبه قول آخر غير هذا: " لما حضر ولادُها، يعني مريم، ووجدت ما تجد المرأة من الطلق، خرجت من المدينة مغربة من إيلياء، حتى تدركها الولادة إلى قرية من إيلياء على ستة أميال، يقال لها بيت لحم، فأجاءها المخاض إلى أصل نخلة إليها مذود بقرة تحتها ربيع من الماء، فوضعته عندها"[٢].

وقال السدي: بل خرجت لما حضر وضعها ما في بطنها إلى جانب المحراب الشرقي منه، فأتت أقصاه فألجأها المخاض إلى جِذْعِ النخلة، وقال ابن عباس: ما هي إلا أن حملت فوضعت.[٣]

وهذه الروايات من الإسرائيليات التي أفوض علمها لله عز وجل.

وعن السدي قال: قالت وهي تطلق من الحبل استحياءً من الناس ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣﴾ تقول: يا ليتني مِتُّ قبل هذا الكرب الذي أنا فيه، والحزن بولادتي المولود من غير بَعْل، وكنت نَسياً منسياً: شيئاً نُسي فتُرك طلبه كخرق الحيض التي إذا ألقيت وطرحت لم تطلب ولم تذكر، وبنحوه قال ابن عباس وقتادة والربيع بن أنس وابن زيد[٤]، وزاد في الدر عن عكرمة ومجاهد والضحاك قالوا: حيضة.[٥]

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/١٦٩-١٧٠).

[٢] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/١٧٠).

[٣] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/١٦٩-١٧٠).

[٤] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/١٧١-١٧٢).

[٥] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥/٥٠١).

المسألة التاسعة: تفسير قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾ مريم:٢٤.

اختلف في تفسير قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾ فقال بعضهم: جبرائيل، رُويَّ ذلك عن ابن عباس وعمرو بن ميمون الأودي[١] والضحاك والسدي وقتادة[٢]، وذكر مثله في الدر عن عكرمة والبراء وسعيد بن جبير[٣]، وهذا ما اختاره مجموعة من المفسرين بدليل قوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ مريم: ١٧؛ فالملك تمثل بصورة بشرية، أيضاً لما سمع كلامها وعرف جزعها ناداها ألا تحزني[٤].

وقال آخرون: عيسى، رُوي ذلك عن مجاهد والحسن ووهب بن منبه وسعيد بن جبير وابن زيد وأبي بن كعب.[٥]

---

[١] كان يكنى أبا عبد الله، ولا صحبة له، توفي سنة ٧٤ أو ٧٥ للهجرة. (ابن سعد، الطبقات الكبرى (١١٨/٦))، (ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار (١٥٩/١).

[٢] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٧٢/١٨-١٧٣).

[٣] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٠١/٥).

[٤] يُنظر السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، تفسير القرآن، حققه ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م (٢٨٦/٣)، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ (٣٨٧/٣)، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (٢٢٦/٥).

[٥] يكنى أبا المنذر، شهد بدراً والعقبة، أحد الستة الذين انتهى إليهم القضاء من الصحابة، اختلف في وفاته فقيل توفي سنة ٢٢هـ في خلافة عمر وقيل سنة ٣٠ في خلافة عثمان، (أبو نعيم، معرفة الصحابة (٢١٤/١))، (الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (١٨٣/٢)).

ويرجّح الطبري بين الأقوال قائلاً: "وأولى القولين في ذلك قول من قال: الذي ناداها ابنها عيسى، وذلك أنه من عناية ذكره أقرب منه من ذكر جبرائيل، فرده على الذي هو أقرب إليه أولى من رده على الذي هو أبعد منه".[١] وهذا ما تطمئن له النفس لأدلة أذكر منها:

١. وهو دليل الحسن بن علي عليه السلام أن عيسى عليه السلام لو لم يكن كلّمها، لما علمت أنه ينطق، فما كانت تشير إلى عيسى عليه السلام بالكلام.
٢. ضمير الرفع في ناداها عائد إلى ما عاد عليه الضمير في حملته، أي عيسى عليه السلام، وبه استدل كثير من المفسرين في ترجيح أن المراد عيسى عليه السلام.[٢]

واختلف في معنى سرياً في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾ فقال بعضهم: النهر الصغير، روي ذلك عن البراء بن عازب وابن عباس وعمرو بن ميمون الأودي ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير وإبراهيم[٣] والضحاك وقتادة ومعمر ووهب بن منبه والسدي[٤]، وذكر مثله في الدر عن ابن عمر عن الرسول– صلى الله عليه وسلم – وعكرمة[٥]، وقال آخرون: عنى به عيسى، روي ذلك عن الحسن وابن زيد.

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٧٤/١٨).
[٢] الرازي، مفاتيح الغيب (٥٢٧/٢١)، (الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٣٩٤)).
[٣] إبراهيم بن يزيد بن الأسود بن النخع ويكنى أبا عمران، تابعي أحد الأئمة المشاهير اختلف في سنة وفاته فقيل توفي سنة ٩٥ وقيل ٩٦هـ. (ابن سعد، الطبقات الكبرى (٢٧٩/٦))، (ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار (١٦٣/١)).
[٤] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٧٥/١٨–١٧٧).
[٥] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٠٣/٥).

ويرجّح الطبري بين الأقوال قائلاً: "وأولى القولين في ذلك قيل من قال عنى به الجدول، وذلك أنه أعلمها ما قد آتاها الله من الماء الذي جعله عندها".[١] وهذا ما أراه أولى بالصواب ولوجود أحاديث فيه، فقد روى الطبراني: عن عكرمة مولى ابن عباس قال سمعت ابن عمر يقول: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: "إن السري الذي قال الله لمريم: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ ﴾ نهر أخرجه الله لتشرب منه".[٢]

فَهَذَا الْحَدِيثُ الْمَرْفُوعُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنْ كَانَتْ طُرُقُهُ لَا يَخْلُو شَيْءٌ مِنْهَا مِنْ ضَعْفٍ أَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ مِنْ دَعْوَى أَنَّ السَّرِيَّ عِيسَى بِغَيْرِ دَلِيلٍ يَجِبُ الرُّجُوعُ إِلَيْهِ.[٣]

المسألة العاشرة: تفسير قوله تعالى: ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ ﴾ مريم:٢٥.

يقول الطبري: "ذُكر أن الجذع كان جذعاً يابساً، وأمرها أن تهزه، وذلك في أيام الشتاء، وهزها إياه كان تحريكه"[٤]، روي عن ابن زيد وابن عباس وأبو نَهيك[٥] ووهب بن منبه والسدي.[٦]

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٧٧/١٨).

[٢] رواه أبو القاسم الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، حققه حمدي ابن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية –القاهرة، ط٢، ٢٥ جزءاً، باب عكرمة عن ابن عباس عن ابن عمر (٣٤٦/١٢) برقم(١٣٣٣٧)، وأبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، حلية الأوّلياء وطبقات الأصفياء، السعادة ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، ١٠ أجزاء، عكرمة مولى ابن عباس، باب أخباره في التفسير (٣٤٦/٣). يُنظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٢٢٥/٥)، وقال ابن كثير: هذا حديث غريب جداً من هذا الوجه. وأيوب بن نهيك هذا هو البحلي قال فيه أبو حاتم الرازي: ضعيف. وقال أبو زرعة: منكر الحديث. وقال أبو الفتح الأزدي: متروك الحديث (الشنقيطي، أضواء البيان في تفعامر بن شرحيل
سير القرآن بالقرآن (٣٩٦/٣).

[٣] الشنقيطي، أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن (٣٩٦/٣).

[٤] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/ ١٧٨).

[٥] عثمان بن نهيك الأزدي الفراهيدي البصري، صاحب القراءات سنة الوفاة ١٠١– ١١٠هـ. (المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٣٥٧/٣٤))، (الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (١٩٨/٣).

[٦] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/ ١٧٨).

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وهزي إليك بالنخلة، روي عن مجاهد وعمرو بن ميمون.[1]

وقد قال أكثر المفسرين إن جذع النخلة كان جافاً، وهي جافة، ولم يكن فيها ثمر، فأثمرت فكان ذلك خارقاً للعادة، وفي هذا المقام أشير إلى أن الآيات الكريمة المتعلقة بحمل عيسى –عليه السلام– وولادته ثرية بالخوارق، فلا نزيد عليها إلا ما يثبت بالنص، ولا نفرض من غير نص، والمهم العبرة في ذلك، وهي الأخذ بالأسباب.

المسألة الحادية عشر: تفسير قوله تعالى: ﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ٢٦﴾ مريم: ٢٦.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: فكلي من الرطب الذي يتساقط عليك، واشربي من ماء السري الذي جعله ربك تحتك، لا تخشي جوعاً ولا عطشاً ﴿وَقَرِّي عَيۡنٗا﴾ يقول: وطيبي نفساً وافرحي بولادتك إياي ولا تحزني،... وقوله: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا﴾ يقول: رأيت من بني آدم أحداً يكلمك أو يسائلك عن شيء أمرك وأمر ولدك وسبب ولادته ﴿﴿فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا﴾ فقولي: إني أوجبت على نفسي لله صمتاً ألا أكلم أحداً من بني آدم اليوم ﴿فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ٢٦﴾﴾"[2].

---

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٧٩/١٨).

[2] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/ ١٨١–١٨٢).

ومن قال في معنى الصوم أنس بن مالك وابن عباس وقتادة والضحاك[١]، ذكر مثله في الدر عن الشعبي[٢] وأبي بن كعب.[٣]

واختلفوا في السبب الذي من أجله أمرها بالصوم عن كلام البشر، فقال بعضهم: أمرها بذلك؛ لأنه لم يكن لها حجة عند الناس ظاهرة، وذلك أنها جاءت وهي أيِّم بولد بالكف عن الكلام ليكفيها فأمرت الكلام ولدها، روي ذلك عن ابن مسعود وابن زيد ووهب بن منبه، وقال آخرون: إنما كان ذلك آية لمريم وابنها، روي ذلك عن قتادة.[٤]

وقال آخرون: بل كانت صائمة في ذلك اليوم، والصائم في ذلك الزمان كان يصوم عن الطعام والشراب وكلام الناس، فأذن لمريم في قدر هذا الكلام ذلك اليوم وهي صائمة، روي ذلك عن السدي.[٥]

والذي يبدو لي أن الذي ذهب إليه غالب المفسرين هو الراجح، لأن ظاهر الآية أن الله أمرها بالصمت عن الكلام لئلا تشرع مع البشر المتهمين لها في الكلام؛ ولعل هذا لمعان منها:

أحدهما: أن عيسى صلوات الله عليه يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها. والثاني: كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم. وفيه أن السكوت عن السفيه واجب. ومن أذل الناس: سفيه لم يجد مسافها[٦].

---

[١] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/١٨١-١٨٣).

[٢] عامر بن شُرَاحيل بن عبد الشعبي وقيل بن عبد بن ذي كبار، يكنى بعمرو من الفقهاء في الدين، اختلف في وفاته فقيل توفي في سنة ١٠٤هـ وقيل سنة ١٠٥هـ. (الذهبي، سير أعلام النبلاء (٥/١٧١، ١٨٤)، (ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار (١/١٦٣).

[٣] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥/٥٠٦).

[٤] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/١٨٣-١٨٤).

[٥] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/١٨٣-١٨٤).

[٦] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي -بيروت، ط٣- ١٤٠٧هـ، ٤ أجزاء. (٣/١٤)، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن

المسألة الثانية عشر: تفسير قوله تعالى:﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾﴾ مريم: ٢٧.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: فلما قال ذلك عيسى لأمه اطمأنت نفسها، وسلمت لأمر الله، وحملته حتى أتت به قومها"[١].

ويذكر الطبري رواية عن وهب بن منبه، قال: "أنساها، يعني مريم، كرب البلاء وخوف الناس ما كانت تسمع من الملائكة من البشارة بعيسى، حتى إذا كلمها، يعني عيسى، وجاء مصداق ما كان الله وعدها احتملته ثم أقبلت به إلى قومها،... "وعن السدي، قال: لما ولدته ذهب الشيطان، فأخبر بني إسرائيل أن مريم قد ولدت، فأقبلوا يشتدون، فدعوها ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾".[٢]

وزاد في الدر عكرمة عن ابن عباس في قوله: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾ بعد أربعين يوماً بعدما تعافت من نفاسها.[٣]

هذه الروايات من الإسرائيليات من النوع الذي يوافق ما جاء في القرآن، عدا بعض التفاصيل المسكوت عنها.

تمام الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، حققه عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية –بيروت، ط١– ١٤٢٢هـ (١٣/٤)، الرازي، مفاتيح الغيب (٥٢٩/٢١)، أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي –بيروت (٢٦٣/٥).

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨٤/١٨).

[٢] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨٥/١٨).

[٣] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٠٦/٥).

ويقول الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾﴾: "يقول تعالى ذكره: فلما رأوا مريم، ورأوا معها الولد الذي ولدته، قالوا لها: يا مريم لقد جئت بأمر عجيب، وأحدثت حدثاً عظيماً"[١]، وروي مثله عن مجاهد وقتادة والسدي ووهب بن منبه.[٢]

المسألة الثالثة عشر: تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾ مريم: ٢٨.

يقول الطبري: "اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله قيل لها: يا أخت هارون، ومن كان هارون هذا الذي ذكره الله، وأخبر أنهم نسبوا مريم إلى أنها أخته، فقال بعضهم: قيل لها ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ نسبة منهم لها إلى الصلاح؛ لأن أهل الصلاح فيهم كانوا يسمون هارون، وليس بهارون أخي موسى"[٣]، روي ذلك عن قتادة وكعب وابن زيد والمغيرة بن شعبة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.[٤] ذكر مثله في الدر عن مجاهد وسفيان.[٥]

"وقال بعضهم: عنى به هارون أخا موسى، ونسبت مريم إلى أنها أخته؛ لأنها من ولده، يقال للتميمي: يا أخا تميم، وللمضري، يا أخا مضر"[٦]. روي ذلك عن السدي[٧]، ذكر مثله في الدر عن

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨٥/١٨).
[٢] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨٥/١٨).
[٣] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨٦/١٨).
[٤] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨٦/١٨-١٨٧).
[٥] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٠٧/٥).
[٦] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨٧/١٨).
[٧] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨٧/١٨).

أبي طلحة،[١] وهذا القول خطأ محض، فإن الله تعالى قد ذكر في كتابه أنه قفى بعيسى بعد الرسل، فدل على أنه آخر الأنبياء بعثاً وليس بعده إلا محمد صلوات الله وسلامه عليه؛ ولهذا ثبت في الصحيح عند البخاري، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: "أنا أولى الناس بابن مريم؛ إلا أنه ليس بيني وبينه نبي"[٢].

وقال آخرون: بل كان ذلك رجلاً منهم فاسقاً معلن الفسق، فنسبوها إليه[٣]، ذكر مثله في الدر عن سعيد بن جبير[٤].

وأقرب الآراء صواباً هو أنها نسبت إلى رجل من قومها صالح؛ بدليل مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في صَحِيحِهِ: عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ[٥] قَالَ: لَمَّا قَدِمْتُ نَجْرَانَ سَأَلُونِي فَقَالُوا: إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ: يَا أُخْتَ هَارُونَ، وَمُوسَى قَبْلُ عِيسَى بِكَذَا وَكَذَا، فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –

---

[١] زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمر بن زيد الأنصاري، شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، اختلف في سنة وفاته فقيل توفي سنة ٣١هـ وقيل سنة ٣٤هـ. (ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (المتوفى: ٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، حققه علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١ ١٤١٢هـ– ١٩٩٢م، ٤ أجزاء (١٦٩٩/٤). يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٠٧/٥–٥٠٨)، ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم = = محمد بن محمد بن عبد الكريم (عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين المتوفى: ٦٣٠هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر –بيروت، ١٤٠٩هـ–١٩٨٩م (١٧٨/٦).

[٢] البخاري، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: {واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها} [مريم: ١٦] ٣٤٤٢ (١٦٧/٤)، ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٢٢٧/٥).

[٣] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨٧/١٨).

[٤] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٠٨/٥).

[٥] هو ابن أبي عامر بن مسعود بن عوف بن ثقيف، يكنى أبا عبد الله، كان من دهاة العرب، توفي سنة ٥٠هـ. (ابن سعد، الطبقات الكبرى (٩٧/٦)، (ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة (٤٧٢/٤).

سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: «إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ»[١] وهذا ما اختاره الطبري وغيره من المفسرين[٢].

ويقول الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾: "ما كان أبوك رجل سوء يأتي الفواحش ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾ يقول: وما كانت أمك زانية، قال: بغياً ولم يقل: بغيةً؛ لأن ذلك مما يوصف به النساء دون الرجال، فجرى مجرى امرأة حائض طالق، وقد كان بعضهم يشبه ذلك بقولهم: ملحفة جديدة وامرأة قتيل".[٣]

المسألة الرابعة عشر: تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾ مريم: ٢٩.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: فلما قال قومها ذلك لها قالت لهم ما أمرها عيسى بقوله لهم، ثم أشارت لهم إلى عيسى أن كلموه"[٤]، روي ذلك عن قتادة ووهب بن منبه وابن جريج.[٥] وذكر مثله في الدر عن عمرو بن ميمون[٦].

---

[١] مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء (٢١٣٥) (١٦٨٥/٣).

[٢] الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤١٤/٣–٤١٥). ابن عطية، المحرر الوجيز (١٣/٤–١٤)، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (٢٢٨/٥–٢٢٩).

[٣] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨٨/١٨).

[٤] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨٨/١٨).

[٥] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨٨/١٨).

[٦] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٠٨/٥).

ويقول الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ٢٩﴾: "يقول تعالى ذكره، قال قومها لها: كيف نكلم من وجد في المهد؟ وقيل: إنه عنى بالمهد في هذا الموضع: حجر أمه"[١]، روي ذلك عن قتادة[٢] وزاد في الدر عن عكرمة قال: (المهد) المرباة، قال إبراهيم: المرباة المرجحة.[٣]

المسألة الخامسة عشر: تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠﴾ مريم:٣٠.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره:فلما قال قوم مريم لها﴿كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ٢٩﴾ وظنوا أن ذلك منها استهزاء بهم، قال عيسى لها متكلماً عن أمه: ﴿إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾، وكانوا حين أشارت لهم إلى عيسى فيما ذُكر عنهم غضبوا"[٤]، روي نحوه عن السدي ووهب بن منبه وابن زيد والضحاك[٥].

ويقول الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: "يقول القائل: أو آتاه الكتاب والوحي قبل أن يخلق في بطن أمه فإن معنى ذلك بخلاف ما يظنّ، وإنما معناه: وقضى يوم قضى أمور

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨٩/١٨).
[٢] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨٩/١٨).
[٣] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٠٨/٥).
[٤] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨٩/١٨).
[٥] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨٩/١٨).

خلقه إليّ أن يؤتيني الكتاب"[1]، روي ذلك عن عكرمة[2]، وزاد في الدر عن أنس بن مالك قوله "كان عيسى قد درس الإنجيل وأحكمه في بطن أمه فذلك قوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾.[3]

وروي عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾: النبيّ وحده الذي يكلم وينزل عليه الوحي ولا يرسل[4].

يقول الشنقيطي: "عبر في قوله تعالى: ﴿آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾ في الماضي عما سيقع في المستقبل تنزيلاً لتحقق الوقوع منزلة الوقوع، ونظائره في كتاب الله تعالى كثيرة منها: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾﴾ النحل: ١".[5]

المسألة السادسة عشرة: تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ مريم: ٣١.

يقول الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾: "اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معناه: وجعلني نفاعاً"[6]، روي ذلك عن مجاهد[7]، ذكر مثله في الدر عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم.[8]

---

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/١٨٩-١٩٠).
[2] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/١٨٩-١٩٠).
[3] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥/٥٠٩).
[4] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/١٩٠).
[5] يُنظر الشنقيطي، أضواء البيان (٣/ ٤١٦).
[6] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/١٩٠-١٩١).
[7] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/١٩٠-١٩١).
[8] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥/٥٠٩).

وقال آخرون: كانت بركته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، روي ذلك عن وهيب بن الورد[١]، وذكر نحوه في الدر عن مجاهد[٢].

وقال آخرون معنى ذلك: جعلني معلم الخير، روي ذلك عن سفيان ومجاهد[٣]، ذكر مثله في الدر عن ابن مسعود وابن عباس[٤].

ولا تعارض بين الأقوال الثلاثة، فكلها تدل على خيره ونفعه.

ويقول الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾: "وقضى أن يوصيني بالصلاة والزكاة، يعني المحافظة على حدود الصلاة وإقامتها على ما فرضها علي. وفي الزكاة معنيان: أحدهما: زكاة الأموال أن يؤديها. والآخر: تطهير الجسد من دنس الذنوب؛ فيكون معناه: وأوصاني بترك الذنوب واجتناب المعاصي"[٥].

ويقول الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا ۝٣١﴾: "ما كنت حياً في الدنيا موجوداً، وهذا يبين أن معنى الزكاة في هذا الموضع: تطهير البدن من الذنوب؛ لأن الذي يوصف به عيسى

---

[١] هو وهيب بن الورد بن أبي الورد القرشي، يكنى أبا عثمان، ويقال: أبو أمية المكي، من المتجردين للعبادة، والمتقشفين في الزهادة، توفي سنة ١٥٣هـ. (ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار (٢٣٣/١– ٢٣٤))، (المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (١٦٩/٣١، ١٧٥)). يُنظر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٩١/١٨).

[٢] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٠٩/٥).

[٣] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٩١/١٨).

[٤] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٠٩/٥).

[٥] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٩١/١٨).

– صلوات الله وسلامه عليه– أنه كان لا يدخر شيئاً لغد، فتجب عليه زكاة المال، إلا أن تكون الزكاة التي كانت فرضت عليه الصدقة بكل ما فضل عن قوته، فيكون ذلك وجهاً صحيحاً".[1]

المسألة السابعة عشر: تفسير قوله تعالى: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ٣٢﴾ مريم: ٣٢.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: مخبراً عن قول عيسى للقوم: وجعلني مباركاً وبرًّا: أي جعلني برًّا بوالدتي. والبرّ هو البارّ، يقال: هو برّ بوالده، وبارّ به، قال أبو نَهيك: أوصاني بالصلاة والزكاة والبرّ بالوالدين، كما أوصاني بذلك، ... فكأنّ أبا نَهيكٍ وجَّه تأويل الكلام إلى قوله ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي﴾ هو من خبر عيسى، عن وصية الله إياه به، كما أن قوله ﴿وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ من خبره عن وصية الله إياه بذلك. فعلى هذا القول يجب أن يكون نصب البرّ بمعنى عمل الوصية فيه؛ لأن الصلاة والزكاة وإن كانتا مخفوضتين في اللفظ فإنهما بمعنى النصب من أجل أنهما مفعول بهما[2]، وزاد في الدر عن نوف ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي﴾؛ أي ليس لي أب[3]؛ ولذا خص الوالدة بالبر.

ويقول الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ٣٢﴾ :"ولم يجعلني مستكبراً على الله فيما أمرني به، ونهاني عنه، شقياً، ولكن ذللني لطاعته، وجعلني متواضعاً"[4]، روي ذلك

---

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٩١/١٨).

[2] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٩١/١٨–١٩٢).

[3] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٠٩/٥).

[4] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٩٢/١٨).

عن قتادة[1]، وزاد في الدر عن ابن عباس: "عصيّا"، وعن سفيان: "الجبار الشقي الذي يقبل على الغضب"، وعن العوام بن حوشب[2]: "إنك لا تكاد تجد عاقاً إلا تجده جباراً"[3].

وجميع هذه الأقوال هي من قبيل التنوع ولا اختلاف حقيقياً بينها.

المسألة الثامنة عشر: تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ٣٣﴾ مريم: ٣٣.

يقول الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ٣٣﴾:

:يقول: والأمن من الله عليّ من الشيطان وجنده يوم ولدت أن ينالوا مني ما ينالون ممن يولد عند الولادة، من الطعن فيه، ويوم أموت، من هول المطلع، ويوم أبعث حياً يوم القيامة أن ينالني الفزع الذي ينال الناس بمعاينتهم أهوال ذلك اليوم"، رواه وهب بن منبه.[4]

وزاد في الدر أقوالاً مأثورة أخرى عن عدد مرات كلامه في المهد، فقد أورد عن ابن عَبَّاس – رضي الله عنهما– قَالَ: مَا تكلم عِيسَى بعد الْآيَات الَّتِي تكلم بهَا حَتَّى بلغ مبلغ الصّبيان"، وعن أبي سعيد الْخُدْرِيّ وَأبي هُرَيْرَة رضي الله عنهما أَن الله أطلق لِسَان عِيسَى مرّة أُخْرَى فِي صباه فَتكلم ثَلَاث مَرَّات حَتَّى بلغ مَا بلغ الصّبيان يَتَكَلَّمُونَ فَتكلم مُحَمَّدا بتحميد لم تسمع الآذان مثله حَيْثُ أنطقه طفْلاً فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَنْت الْقَرِيب فِي علوك المتعالي فِي دنوك الرفيع على كل شَيْء من خلقك أَنْت الَّذِي نفذ بَصرك فِي خلقك وحارت الْأَبْصَار دون النّظر إِلَيْك أَنْت الَّذِي أشرقت بضوء نورك دجى الظلام

---

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٩٢/١٨).

[2] العوام بن حوشب بن يزيد بن رؤيم الشيباني الربعي، كان يكنى بأبي عبس، كان ثقة وصاحب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، توفي سنة ١٤٨هـ. (ابن سعد، الطبقات الكبرى (٣١١/٧))، (ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار (٢٧٩/١– ٢٨٠)).

[3] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٠٩/٥).

[4] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٩٣/١٨).

وتلألأت بعظمتك أَرْكَان الْعَرْش نوراً فَلم يبلغ أحد بِصفتِهِ صِفَتك فتباركت اللَّهُمَّ خَالق الْخلق بعزتك مُقَدّر الْأُمُور بحكمتك مبتدئ الْخلق بعظمتك ثمَّ أمسك الله لِسَانه حَتَّى بلغ".[1]

وهذه الأقوال من الإسرائيليات المسكوت عنها فقد سكت القرآن عن تفصيل ذلك، وأفوض علمها لله تعالى.

المسألة التاسعة عشر: تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ٣٤﴾ مريم: ٣٤.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: هذا الذي بيَّنت لكم صفته، وأخبرتكم خبره، من أمر الغلام الذي حملته مريم، هو عيسى ابن مريم، وهذه الصفة صفته، وهذا الخبر خبره، وهو ﴿قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ﴾ يعني أن هذا الخبر الذي قصصته عليكم قول الحقّ، والكلام الذي تلوته عليكم قول الله وخبره، لا خبر غيره، الذي يقع فيه الوهم والشكّ، والزيادة والنقصان، على ما كان يقول الله تعالى ذكره: فقولوا في عيسى أيها الناس، هذا القول الذي أخبركم الله به عنه، لا ما قالته اليهود، الذين زعموا أنه لغير رشدة، وأنه كان ساحراً كذّاباً، ولا ما قالته النصارى، من أنه كان لله ولداً، وإن الله لم يتخذ ولداً، ولا ينبغي ذلك له"[2]، روي ذلك عن مجاهد وإبراهيم[3].

---

[1] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥/٥٠٩-٥١٠).

[2] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/١٩٣- ١٩٤).

[3] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/١٩٣- ١٩٤).

ويقول الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى فِيهِ يَمۡتَرُونَ ٣٤﴾: "فإنه يعني: الذي فيه يختصمون ويختلفون، من قولهم: ماريت فلاناً: إذا جادلته وخاصمته"[1]، روى نحوه قتادة وابن جريج[2].

المسألة العشرون: تفسير قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٣٥﴾ مريم: ٣٥.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: لقد كفر الذين قالوا: إن عيسى ابن الله، وأعظموا الفِرية عليه، فما ينبغي لله أن يتخذ ولداً، ولا يصلح ذلك له ولا يكون، بل كل شيء دونه فخلقه،... ﴿سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ﴾ يقول: تنزيهاً لله وتبرئة له أن يكون له ما أضاف إليه الكافرون القائلون: عيسى ابن الله"[3].

ويقول الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٣٥﴾: "يقول جل ثناؤه: إنما ابتدأ الله خلق عيسى ابتداءً، وأنشأه إنشاءً من غير فحل افتحل أمه، ولكنه قال له ﴿كُن فَيَكُونُ ٣٥﴾؛ لأنه كذلك يبتدع الأشياء ويخترعها، إنما يقول، إذا قضى خلق شيء أو إنشاءه: كن فيكون موجوداً حادثاً، لا يعظم عليه خلقه؛ لأنه لا يخلقه بمعاناة وكلفة، ولا ينشئه بمعالجة وشدّة"[4].

المسألة الحادية والعشرون: تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٣٦﴾ مريم: ٣٦.

---

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٩٤/١٨).

[2] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٩٤/١٨).

[3] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٩٤/١٨-١٩٥).

[4] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٩٤/١٨-١٩٦).

يقول الطبري: "ومعنى ذلك: وإني وأنتم أيها القوم جميعاً لله عبيد، فإياه فاعبدوا دون غيره"[١]، رواه وهب بن منبه[٢].

ويقول الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٣٦﴾: "يقول: هذا الذي أوصيتكم به، وأخبرتكم أن الله أمرني به هو الطريق المستقيم، الذي من سلكه نجا، ومن ركبه اهتدى؛ لأنه دين الله الذي أمر به أنبياءه".[٣]

المسألة الثانية والعشرون: تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٣٧﴾ مريم: ٣٧.

يقول الطبري في تفسير الآية: "فاختلف المختلفون في عيسى، فصاروا أحزاباً متفرّقين من بين قومه"[٤]، وروي عن مجاهدفي تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ﴾ قال: أهل الكتاب[٥].

وروي عن قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ﴾، قوله: "ذُكر لنا لما رُفع ابن مريم، انتخبت بنو إسرائيل أربعة من فقهائهم، فقالوا للأوّل: ما تقول في عيسى؟ قال: هو الله هبط إلى الأرض، فخلق ما خلق، وأحيا ما أحيا، ثم صَعِد إلى السماء، فتابعه على ذلك ناس من الناس، فكانت اليعقوبية من النصارى؛ وقال الثلاثة الآخرون: نشهد أنك كاذب، فقالوا للثاني: ما تقول في عيسى؟ قال: هو ابن الله، فتابعه على ذلك ناس من الناس، فكانت النَّسطورية من

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٩٧/١٨).
[٢] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٩٧/١٨).
[٣] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٩٦/١٨-١٩٧).
[٤] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٩٧/١٨).
[٥] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٩٧/١٨).

النصارى؛ وقال الاثنان الآخران: نشهد أنك كاذب، فقالوا للثالث: ما تقول في عيسى؟ قال: هو إله، وأمه إله، والله إله، فتابعه على ذلك ناس من الناس، فكانت الإسرائيلية من النصارى، فقال الرابع: أشهد أنك كاذب، ولكنه عبد الله ورسوله، هو كلمة الله وروحه؛ فاختصم القوم، فقال المرء المسلم: أنشدُكم الله ما تعلمون أن عيسى كان يَطعم الطعام، وأن الله تبارك وتعالى: لا يطعم الطعام قالوا: اللهمّ نعم، قال: هل تعلمون أن عيسى كان ينام؟ قالوا: اللهمّ نعم، قال فخصمهم المسلم؛ قال: فاقتتل القوم. قال: فذُكر لنا أن اليعقوبية ظهرت يومئذٍ وأصيب المسلمون، فأنزل الله في ذلك القرآن ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢١﴾ آل عمران: ٢١"[1].

وروي أيضاً عن قتادة في تفسير قوله تعالى:﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ﴾، قوله: اختلفوا فيه فصاروا أحزاباً.[2]

وبجمع الروايتين، يظهر أن اليهود والنصارى كلاهما اختلفوا في شأن عيسى عليه السلام.

ويقول الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ٣٧﴾: "فوادي جهنم الذي يدعى ويلاً للذين كفروا بالله، من الزاعمين بأن عيسى لله ولد، وغيرهم من أهل الكفر به من شهودهم يومًا عظيماً شأنه، وذلك يوم القيامة"[3].

وعن قتادة قال الله: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ٣٧﴾ شهدوا هولاً عظيماً[4].

---

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٩٧/١٨–١٩٨).

[2] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٩٨/١٨).

[3] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٩٨/١٨).

[4] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٩٨/١٨).

المسألة الثالثة والعشرون: تفسير قوله تعالى: ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٨﴾ مريم: ٣٨.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره مخبراً عن حال الكافرين به، الجاعلين له أنداداً، والزاعمين أن له ولداً يوم ورودهم عليه في الآخرة: لئن كانوا في الدنيا عمياً عن إبصار الحق، والنظر إلى حجج الله التي تدل على وحدانيته، صماً عن سماع آيات كتابه، وما دعتهم إليه رسل الله فيها من الإقرار بتوحيده، وما بعث به أنبياءه، فما أسمعهم يوم قدومهم على ربهم في الآخرة، وأبصرهم يومئذٍ حين لا ينفعهم الإبصار والسماع، روي نحوه عن قتادة وأبي العالية، قال ابن زيد: هذا يوم القيامة، فأما في الدنيا فلا كانت على أبصارهم غشاوة، ولا في آذانهم وقر؛ فلما كان يوم القيامة أبصروا وسمعوا فلم ينتفعوا"[1]، وذكر نحوه في الدر عن ابن عباس وابن أبي حاتم[2].

ويقول الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٨﴾: "يقول تعالى ذكره: لكن الكافرين الذين أضافوا إليه ما ليس من صفته، وافتروا عليه الكذب اليوم في الدنيا، في ضلال مبين. يقول: في ذهاب عن سبيل الحقّ، وأخذ على غير استقامة، مبين أنه جائر عن طريق الرشد والهدى، لمن تأمله وفكر فيه، فهدي لرشده"[3].

---

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/١٩٨-١٩٩).

[2] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥/٥١١).

[3] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/٢٠٠).

المسألة الرابعة والعشرون: تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ مريم: ٣٩.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وأنذر يا محمد هؤلاء المشركين بالله يوم حسرتهم وندمهم، على ما فرطوا في جنب الله، وأورثت مساكنهم من الجنة أهل الإيمان بالله والطاعة له، وأدخلوهم مساكن أهل الإيمان بالله من النار، وأيقن الفريقان بالخلود الدائم، والحياة التي لا موت بعدها، فيا لها حسرة وندامة"[١].

وبنحوه روي عن عبد الله، وعن أبي سعيد، قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «يجاء بالموت يوم القيامة فيوقف بين الجنة والنار كأنه كبش أملح، قال: يقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرأبون وينظرون، فيقولون: نعم، هذا الموت، فيقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ فيشرأبون وينظرون، فيقولون نعم هذا الموت، ثم يؤمر به فيذبح، قال: فيقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، قال: ثم قرأ رسول الله – صلى الله عليه وسلم –﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ وأشار بيده في الدنيا»[٢] وروي نحوه عن أبي هريرة وابن عباس عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وعن ابن جريج[٣]، وذكر مثله في الدر عن ابن مسعود.[٤]

وذكر في معنى يوم الحسرة: يوم القيامة رواه ابن زيد وابن عباس، حيث يكثر التحسر من أهل النار.[٥]

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٠٠/١٨).

[٢] مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الجنة، صفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء برقم (٢٨٤٩) (٢١٨٨/٤).

[٣] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٠٠/١٨–٢٠١).

[٤] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥١٢/٥).

[٥] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٠١/١٨).

ويقول الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ﴾: "يقول: وهؤلاء المشركون في غفلة عما الله فاعل بهم يوم يأتونه خارجين إليه من قبورهم، من تخليده إياهم في جهنم، وتوريثه مساكنهم من الجنة غيرهم ﴿وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٣٩﴾ يقول تعالى ذكره: وهم لا يصدقون بالقيامة والبعث، ومجازاة الله إياهم على سيء أعمالهم، بما أخبر أنه مجازيهم به".[1]

المسألة الخامسة والعشرون: تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ٤٠﴾ مريم: ٤٠.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لا يحزنك تكذيب هؤلاء المشركين لك يا محمد فيما أتيتهم به من الحق، فإنَّ إلينا مرجعهم ومصيرهم ومصير جميع الخلق غيرهم، ونحن وارثو الأرض ومن عليها من الناس بفنائهم منها، وبقائها لا مالك لها غيرنا، ثم علينا جزاء كل عامل منهم بعمله، عند مرجعه إلينا، المحسن منهم بإحسانه، والمسيء بإساءته".[2]

المطلب الثالث: ملاحظات عامّة على المبحث

بعد التطرق للتفسير بالمأثور في الآيات الواردة في قصّة نبي الله عيسى عليه السلام، ومحاجّة النصارى، أسطّر هنا بعض الملاحظات على هذا المبحث، وذلك في المسائل التالية:

المسألة الأولى: معظم الاختلاف الوارد في التفسير بالمأثور في هذا المبحث كان من قبيل اختلاف التنوع لا التضاد، ولهذا أمثلة عديدة في هذا المبحث منها الاختلاف في تفسير قوله تعالى:﴿وَجَعَلَنِي

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٠٢/١٨).
[2] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٠٢/١٨).

﴿مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ مريم: ٣١، فقد ورد عن مجاهد[١] وأبي هريرة[٢] أن مباركاً بمعنى نفّاعاً، وقال وهيب بن الورد[٣] ومجاهد في رواية أخرى[٤]: كانت بركته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال سفيان ومجاهد[٥] وابن مسعود وابن عباس[٦]: جعلني معلم الخير.

فأن يكون نفّاعاً، أو آمراً بالمعروف، وناهياً عن المنكر، أو معلماً للخير كلها صور للبركة.

المسألة الثانية: كثرة اختلاف التضاد في هذا المبحث ؛ فبالرغم من كون جل الاختلاف في التفسير بالمأثور من قبيل اختلاف التنوع –كما ذكرت في المبحث السابق–، إلا أنّ ذلك لم يمنع من وردود بعض المواضع التي ظهر فيها اختلاف التضاد، ولعلّ هذا المبحث كان حافلاً بهذا النوع من الاختلاف؛ لكثرة الاسرائيليات، كذلك الضعف في الروايات، وغيره، ومثال ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾ مريم: ٢٤، فقيل في شأن المنادي أنه جبرائيل عليه السلام، وقيل أنه عيسى عليه السلام، ولا سبيل للجمع بين القولين، كذلك ما جاء في سبب مناداة مريم بأخت هارون، وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ مريم: ٢٨، وغيره الكثير.

المسألة الثالثة: فيما يتعلق بالروايات الإسرائيلية، فقد كان لها حضور جلي في هذا المبحث، وقد برزت في كِلا التفسيرين، ومثال ذلك ما جاء في الروايات الواردة في تحديد المكان الذي انتبذت إليه

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/١٩٠–١٩١).
[٢] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥/٥٠٩).
[٣] يُنظر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/١٩١).
[٤] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥/٥٠٩).
[٥] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/١٩١).
[٦] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥/٥٠٩).

مريم عليها السلام، لوضع عيسى عليه السلام فيه، وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾﴾ مريم: ٢٢.

المسألة الرابعة: ملاحظات على منهج الإمامين الطبري والسيوطي من خلال تفسير آيات هذا المبحث:

١. وجود ترجيحات في تفسير الطبري واختفاؤها تماما عند السيوطي في تفسيره، تماشياً مع منهجه في نقل الآثار دون تعقيب، ومثال ترجيحات الطبري في هذا المبحث: ترجيحه بأن منادي مريم عليها السلام في قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾ مريم: ٢٤، هو عيسى عليه السلام وليس جبرائيل عليه السلام، وكذا أن المقصود بـ (سرياً) في قوله تعالى :﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾ مريم: ٢٤، هو الجدول.

٢. يُلاحظ في هذا المبحث قلة زيادات السيوطي على الطبري، ومن زيادات الدرّ على الطبري، الروايات الواردة في عدد مرّات تكلّم نبي الله عيسى عليه السلام في المهد، وذلك في تفسير قوله تعالى: :﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾ مريم: ٢٣، كما أنّ الروايات المأثورة بشكل عام هي قليلة في نهاية المبحث مقارنة ببدايته.

هذه هي أبرز الملاحظات على هذا المبحث، وفي الفصل الثالث وقفات مع التفسير بالمأثور لقصص الأنبياء الأخرى في سورة مريم: إبراهيم وموسى وإسماعيل وإدريس عليهم أفضل الصلاة، وأتمّ التسليم.

الفصل الثالث

وقفات مع قصص الأنبياء الأخرى في سورة مريم: إبراهيم وموسى وإسماعيل وإدريس -عليهم السلام-.

ويشتمل هذا الفصل على أربعة مباحث، على النحو الآتي:

المبحث الأوّل: قصة إبراهيم عليه السلام.

المبحث الثاني: قصص الأنبياء الأخرى في سورة مريم موسى وإسماعيل وإدريس -عليهم السلام-.

المبحث الثالث: صفات خَلَفِ الأنبياء وجزاؤهم وصفات التائبين وأهل الجنة الجنة.

المبحث الرابع: تنزل الوحي بأمر الله تعالى.

تمهيد

تم التطرق في الفصل السابق للتفسير بالمأثور لقصص بعض من الأنبياء، هم: زكريا ويحيى وعيسى عليهم جميعاً أفضل الصلاة، وأتم السلام، كذلك تم التطرق لتفسير الآيات المتعلّقة بمحاجّة عيسى عليه السلام للنصارى، وفي هذا الفصل استكمال عرض التفسير بالمأثور لقصص الأنبياء الأخرى في السورة، وهم: إبراهيم وموسى وإسماعيل وإدريس عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام.

واستكمالاً لتفسير قصص الأنبياء عليهم السلام، سيتم عرض تفسير الآيات المتعلّقة بصفات خَلَفِ الأنبياء، وجزائهم، وصفات التائبين، وأهل الجنة، ثمّ تفسير الآيات المتعلقّة بتنزّل الوحي بأمر الله تعالى.

المبحث الأوّل

قصة إبراهيم عليه السلام

الآيات الكريمة في قصة إبراهيم عليه السلام:

قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ٤٩ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ٥٠ ﴾ مريم: ٤١ – ٥٠.

المطلب الأوّل: مناسبة الآيات الكريمة لما قبلها ومعناها العام

تستمر آيات سورة مريم في تثبيت غرضها وهو تقرير التوحيد والنبوة والحشر، وها هي القصة الثالثة قصة سيدنا إبراهيم تناقش اتخاذ الناس أصناماً شركاء لله بعد أن ناقشت الآيات السابقة وجهاً آخر من وجوه الشرك وهو اتخاذ الولد لله.[1]

(ذكر الله –عز وجل– في هذه السورة جملة من الأنبياء، يأمر الله رسوله أن يذكرهم؛ لأن في ذكرهم إظهارَ الثناء على الله وعليهم وبيان فضله وإحسانه إليهم، وفيه الحث على الإيمان بهم ومحبتهم والأقتداء بهم فقال: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾ مريم:٤١، فجمع بين الصديقية والنبوة)، (فتدرج الخليل عليه السلام بدعوة أبيه، بالأسهل فالأسهل، فأخبره بعلمه، وأن ذلك موجب لاتباعك إياي وأنك إن أطعتني اهتديت إلى صراط مستقيم ثم نهاه عن عبادة الشيطان، وأخبره بما فيها من المضار ثم حذره عقاب الله ونقمته إن أقام على حاله، وأنه يكون ولياً للشيطان فلم ينجع هذا الدعاء بذلك الشقي و أجاب بجواب جاهل) (ولام إبراهيم عن رغبته عنها (عبادة الأصنام)، وأنه إذا لم يكف عن شتم هذه الآلهة ليقتله بالحجارة وأن لا يكلمه زماناً طويلاً، فلم يقابله إبراهيم بما يكره، وقال له سلمت مني لا أصيبك بمكروه، وأني (لا أزال أدعو الله لك بالهداية والمغفرة؛) لأنه رحيمٌ رؤوف بحاله، فلما تبين أنه عدو لله ترك الاستغفار وتبرأ منه ومن أصنامه التي يعبدها، (وهذا الاستغفار لأن والد ابراهيم كان قد وعده أن يؤمن كما قال: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ﴿١١٤﴾ ﴾ التوبة: ١١٤)،

---

[1] البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (المتوفى: ٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ٢٢ جزءاً (٢٠٤/١٢).

وتمنى من الله أن يسعده بإجابة دعائه، فأخذ قراره بترك أهله مرضاة لله عز وجل، فعوضه بأن جعل في ذريته النبوة اسحاق ويعقوب، فوهب لهم الرحمة وأثنى عليهم وأحبهم وجعل هذه المحبة تملأ القلوب[1].

المطلب الثاني: التفسير بالمأثور للآيات الكريمة

وفيه عدّة مسائل:

المسألة الأولى: تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ۝٤١﴾ مريم: ٤١.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه: ﴿وَٱذۡكُرۡ﴾ يا محمد في كتاب الله ﴿إِبۡرَٰهِيمَۚ﴾ خليل الرحمن، فاقصص على هؤلاء المشركين قصصه وقصص أبيه، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ۝٤١﴾ يقول: كان من أهل الصدق في حديثه وأخباره ومواعيده لا يكذب، والصدّيق هو الفعيل من الصدق، ﴿نَّبِيًّا ۝٤١﴾ يقول: كان الله قد نبأه وأوحى إليه"[2].

المسألة الثانية: تفسير قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ۝٤٢﴾ مريم: ٤٢.

يقول الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ﴾: "يقول: اذكره حين قال لأبيه ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ﴾ يقول: ما تصنع بعبادة الوَثَن الذي لا يسمع ﴿وَلَا يُبۡصِرُ﴾ شيئاً ﴿وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾

---

[1] السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٤٩٤/١)، المراغي، تفسير المراغي (٥٧/١٦–٥٨).

[2] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٠٢/١٨).

﴿٤٢﴾﴾ يقول: ولا يدفع عنك ضرّ شيء، إنما هو صورة مصوّرة لا تضرّ ولا تنفع، يقول ما تصنع بعبادة ما هذه صفته؟ اعبد الذي إذا دعوته سمع دعاءك، وإذا أحاط بك أبصرك فنصرك، وإذا نزل بك ضرّ دفع عنك"[1].

المسألة الثالثة: تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾﴾ مريم: ٤٣.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لأبيه: يا أبت إني قد آتاني الله من العلم ما لم يؤتك فاتبعني، يقول: فاقبل مني نصيحتي ﴿أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾﴾ يقول: أبصرك هدى الطريق المستوي الذي لا تضلّ فيه إن لزمته، وهو دين الله الذي لا اعوجاج فيه".[2]

المسألة الرابعة: تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾﴾ مريم:٤٤.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: يا أبتي لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان لله عاصياً، والعصي هو ذو العصيان، كما العليم ذو العلم"[3].

المسألة الخامسة: تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾﴾ مريم: ٤٥.

---

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٠٢/١٨-٢٠٤).

[2] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٠٣/١٨).

[3] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٠٤/١٨).

يقول الطبري في تفسير الآية الكريمة: "يا أبت إني أعلم أنك إن متّ على عبادة الشيطان، فإنه يمسك عذاب من عذاب الله ﴿ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ ﴾ يقول: تكون له ولياً دون الله ويتبرأ الله منك، فتهلك، والخوف في هذا الموضع بمعنى العلم، كما الخشية بمعنى العلم، في قوله تعالى: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ الكهف: ٨٠".[١]

ويلاحظ على الآيات السابقة خلوها من أي تفسير بالمأثور في كتاب جامع البيان والدر المنثور، واكتفاء الطبري بذكر المعنى اللغوي.

المسألة السادسة: تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ ﴾ مريم: ٤٦.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: قال أبو إبراهيم لإبراهيم، حين دعاه إبراهيم إلى عبادة الله وترك عبادة الشيطان، والبراءة من الأوثان والأصنام ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ﴾ يا إبراهيم عن عبادة آلهتي؟ ﴿لَئِن﴾ أنت ﴿لَّمْ تَنتَهِ﴾ عن ذكرها بسوء ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ يقول: لأرجمنك بالكلام، وذلك السب، والقول القبيح"[٢]، روي ذلك عن السدي وابن جريج والضحاك[٣]، وذكر مثله في الدر عن ابن عباس[٤].

ويقول الطبري في تفسير قوله تعالى:﴿وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ ﴾: "فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: معنى ذلك: واهجرني حيناً طويلاً ودهراً. ووجهوا معنى الملي إلى الملاوة من الزمان،

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٠٤/١٨).

[٢] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٠٤/١٨-٢٠٥).

[٣] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٠٥/١٨).

[٤] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥١٣/٥).

وهو الطويل منه"[١]، روي ذلك عن مجاهد والحسن وابن إسحاق[٢] وسعيد بن جبير والسدي[٣]، وذكر مثله في الدر عن ابن عباس[٤].

وقال آخرون: بل معنى ذلك: واهجرني سويًا سليماً من عقوبتي إياك، ووجهوا معنى الملي إلى قول الناس: فلان ملي بهذا لأمر: إذا كان مضطلعاً به غنياً فيه. وكان معنى الكلام عندهم: واهجرني وعرضك وافر من عقوبتي، وجسمك معافىً من أذاي، روي ذلك عن ابن عباس وقتادة وعطية الجدلي[٥] والضحاك[٦]، ذكر مثله في الدر عن عكرمة والحسن[٧].

ويرجّح الطبري بين الأقوال قائلاً: "وأولى القولين بتأويل الآية عندي قول من قال: معنى ذلك: واهجرني سوياً، سلماً من عقوبتي؛ لأنه عقيب قوله ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾ وذلك وعيد منه له إن لم ينته عن ذكر آلهته بالسوء أن يرجمه بالقول السيء، والذي هو أولى بأن يتبع ذلك التقدم إليه بالانتهاء عنه قبل أن تناله العقوبة، فأما الأمر بطول هجره فلا وجه له"[٨].

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٠٥/١٨-٢٠٦).

[٢]- محمد بن إسحاق، بن يسار مولى قَيْسِ بْن مَخْرَمَةُ بْنُ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قصي ويكنى أبا عبد الله. وكان محمد بن إسحاق أول من جمع مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وألفها، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ دَوَّنَ العِلْمَ بِالمَدِيْنَةِ، وكان كثير الحديث. وقد كتبت عنه العلماء ومنهم من يستضعفه، توفي ببغداد سنة ١٥٠ وقيل ١٥١هـ، وكان كثير الحديث. وقد كتبت عنه العلماء ومنهم من يستضعفه. ((ابن سعد، الطبقات الكبرى، (٤٥٠/٥ - ٤٥١)، (ينظر الذهبي، سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٣ - ٥٥)).

[٣] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٠٥/١٨-٢٠٦).

[٤] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥١٣/٥).

[٥]عطية" بن سعد بن جنادة٢ العوفي الجدلي القيسي الكوفي أبو الحسن، روى عن أبي سعيد وأبي هريرة وابن عباس وابن عمر وزيد بن أرقم وعكرمة وعدي بن ثابت وعبد الرحمن بن جندب وغيرهم، توفي سنة ١١١هـ. ((ينظر ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١ ١٣٢٦هـ، ١٢ جزءً (٢٢٤/٧ - ٢٢٥)، (الزركلي، الأعلام (٢٣٧/٤)).

[٦] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٠٦/١٨-٢٠٧).

[٧] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥١٤/٥).ذ

[٨] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٠٧/١٨).

والوقوف على معنى ملي كما جاء في قواميس اللغة أولى: "ملي: المَلِيُّ: الهويُّ من الدّهر وهو الحين الطّويل من الزّمان"[1]. وقال به عدد من المفسرين[2]، فهدده إن لم ينته ليذيقه من القول السيء وطلب منه هجره فترة طويلة من الزمن.

المسألة السابعة: تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾ مريم: ٤٧.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لأبيه حين توعده على نصيحته إياه ودعائه إلى الله بالقول السيء والعقوبة: سلام عليك يا أبت، يقول: أمنة مني لك أن أعاودك فيما كرهت، ولدعائك إلي ما توعدتني عليه بالعقوبة، ولكني ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾ يقول: ولكني سأسأل ربي أن يستر عليك ذنوبك بعفوه إياك عن عقوبتك عليها ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾ يقول: إن ربي عهدته بي لطيفاً يجيب دعائي إذا دعوته، يقال منه: تحفى بي فلان"[3]، روي ذلك عن ابن عباس وابن زيد[4]، وزاد في الدر عن مجاهد قال: عوده الإجابة[5].

المسألة الثامنة: تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾ مريم: ٤٨.

---

[1] الفراهيدي، كتاب العين (٣٤٥/٨).

[2] البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (٢٣٤/٥)، ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١٨/٤)، الرازي، مفاتيح الغيب (٥٤٦/٢١).

[3] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٠٧/١٨).

[4] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٠٧/١٨).

[5] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥١٤/٥).

يقول الطبري في تفسير الآية: "يقول: وأجتنبكم وما تدعون من دون الله من الأوثان والأصنام ﴿وَأَدۡعُواْ رَبِّي﴾ يقول: وأدعو ربي، بإخلاص العبادة له، وإفراده بالربوبية ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨﴾ يقول: عسى أن لا أشقى بدعاء ربي، ولكن يجيب دعائي، ويعطيني ما أسأله".[1]

ولم أقف على رواية مأثورة في تفسير هذه الآية.

المسألة التاسعة: تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ٤٩﴾ مريم: ٤٩.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: فلما اعتزل إبراهيم قومه وعبادة ما كانوا يعبدون من دون الله من الأوثان آنسنا وحشته من فراقهم، وأبدلناه منهم بمن هو خيراً منهم وأكرم على الله منهم، فوهبنا له ابنه إسحاق، وابن ابنه يعقوب بن إسحاق ﴿وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ٤٩﴾ فوحّد، ولم يقل أنبياء؛ لتوحيد لفظ كل"[2]، ذكر مثله في الدر عن ابن عباس قال: "وهبنا له إسحاق ولداً ويعقوب ابن ابنه"[3].

المسألة العاشرة: تفسير قوله تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ٥٠﴾ مريم:٥٠.

يقول الطبري: "يقول جل ثناؤه: ورزقنا جميعهم، يعني إبراهيم وإسحاق ويعقوب من رحمتنا، وكان الذي وهب لهم من رحمته، ما بسط لهم في عاجل الدنيا من سعة رزقه، وأغناهم بفضله"[4].

---

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٠٨/١٨).

[2] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٠٨/١٨).

[3] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥١٤/٥).

[4] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٠٨/١٨).

ويقول الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾: "يقول تعالى ذكره: ورزقناهم الثناء الحسن، والذكر الجميل من الناس"[١]، روي ذلك عن ابن عباس[٢].

"وإنما وصف جل ثناؤه اللسان الذي جعل لهم بالعلو؛ لأن جميع أهل الملل تحسن الثناء عليهم".[٣]

المطلب الثالث: ملاحظات عامة على المبحث

بعد عرض التفسير بالمأثور في الآيات الواردة في قصة سيدنا إبراهيم –عليه الصلاة والسلام– سطّرُت بعض الملاحظات على هذا المبحث أذكرها في المسائل التالية:

المسألة الأولى: كثرة الآيات التي خلت من أي تفسير لها بالمأثور في كلا الكتابين، حيث اقتصر الطبري على ذكر المعنى اللغوي ولم يذكر السيوطي فيها شيئاً، ومثال ذلك الآيات من قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ مريم: ٤١، إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ مريم: ٤٥.

المسألة الثانية: قلة الاختلاف في التفسير بالمأثور، فقد لاحظت بشدة قلة الاختلاف في الروايات المأثورة في آيات هذا المبحث، ولعلّ السبب يرجع لقلة الروايات الواردة، ووضوح مراد الله تعالى فيها.

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٠٨/١٨).

[٢] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٠٨/١٨).

[٣] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٠٨/١٨).

المسألة الثالثة: خلو تفسير آيات هذا المبحث من الروايات الإسرائيلية، ففي حين كثُرت مثل هذه الروايات في المبحث السابق من الفصل الماضي، خلت مواضع التفسير لآيات هذا المبحث من الروايات الإسرائيلية.

المسألة الرابعة: ظهر اجتهاد الإمام الطبري في هذا المبحث من خلال ترجيحاته بين الأقوال، وذلك في تفسير بعض الآيات، مثل ترجيحه بأن المقصود في قول الله تعالى: ﴿وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦﴾ مريم: ٤٦، هو أن يهجره سوياً سالماً من عقوبته، وليس حيناً طويلاً.

المبحث الثاني

قصص الأنبياء الأخرى في سورة مريم: موسى وإسماعيل وإدريس عليهم السلام.

مرّ في المبحث السابق التفسير بالمأثور لقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، الواردة في سورة مريم عليها السلام، وفي هذا المبحث استكمال تفسير قصص بقية الأنبياء المذكورين في السورة الكريمة، وهم: موسى وإسماعيل وإدريس عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم.

الآيات الكريمة في قصة موسى وإسماعيل وإدريس عليهم السلام:

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥١ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ٥٢ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ٥٣ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيّٗا ٥٧ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ٥٨﴾ مريم: ٥١ – ٥٨.

المطلب الأول: مناسبة الآيات الكريمة لما قبلها ومعناها العام

جاءت الآيات الكريمة بعقد فريد تذكر من قصص الأنبياء ما يرسخ عقيدة التوحيد، وها هي ذا قصة سيدنا موسى أردفها الله تعالى بعد قصة إبراهيم عليه السلام؛ لاشتراكهما في إخلاص العبادة لله عن الشرك والرياء، "ولأن موسى أول من نوه الله بأسماء سيدنا إبراهيم وذريته من الأنبياء، على لسانه في التوراة، وأظهر محامدهم، وشهر مناقبهم، وتوارث ذلك أبناؤهم منه حتى شاع أمرهم وذاع، وملأ الأسماع، وطار في الأقطار، حتى عم البراري والبحار"[1].

أمر الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يذكر هؤلاء الأنبياء؛ لأن في ذكرهم إظهار الثناء على الله وعليهم وبيان فضله وإحسانه إليهم: ومنهم سيدنا موسى بن عمران عليه السلام تبجيلاً وتعظيماً له، واستخلصه الله تعالى وقربه إليه، (وجمع له بين النبوة والرسالة؛ لهذا نادى الله موسى بصوت خفي في جانب الطور الأيمن، وجعل له أخاه هارون وزيرا وأشركه في أمره، وهذه من أكبر فضائل موسى وإحسانه، وأمر الله رسوله أن يذكر إسماعيل بأهم صفاته، وهي صدق الوعد مع الله ومع الناس، وكان يأمر أهله بالصلاة المتضمنة للإخلاص للمعبود، وكان مرضياً: أي وارتضاه الله وجعله من خواص عباده وأوليائه المقربين، كذلك أذكر في الكتاب على وجه التعظيم والإجلال والوصف بصفات الكمال إدريس الذي جمع الله له بين الصديقية الجامعة للتصديق التام، والعلم الكامل، واليقين الثابت، والعمل الصالح، وبين اصطفائه لوحيه، واختياره لرسالته، ورفع الله ذكره في العالمين، ومنزلته بين المقربين، فكان عالي الذكر، عالي المنزلة) [2]،" وبعد أن أفرد الله كل رسول

---

[1] البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢١٠/١٢).

[2] السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان بتصرف (٤٩٥/١-٤٩٦).

من رسله العشرة[١] الذين سبق ذكرهم بالثناء عليه بما هو جدير به، أردفه بذكر بعض ما جازاهم به من النعم، فقد هداهم إلى سبل الخير واصطفاهم من سائر خلقه" [٢].

المطلب الثاني: التفسير بالمأثور للآيات الكريمة

وفيه عدّة مسائل:

المسألة الأولى: تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥١﴾ مريم: ٥١.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: واذكر يا محمد في كتابنا الذي أنزلناه إليك موسى بن عمران، واقصص على قومك أنه كان مخلصاً"[٣] ومخلصاً أي "أنه كان صلى الله عليه وسلم مخلصا عبادة الله، مُخْلَصا للرسالة والنبوّة". [٤]

ويقول في تفسير قوله تعالى:﴿وَكَانَ رَسُولٗا﴾: "وكان لله رسولاً إلى قومه بني إسرائيل، ومن أرسله إليه نبياً"[٥]، وذكر مثله في الدر عن مجاهد[٦].

---

[١] وقد ذُكر من الأنبياء قبل هذه الآية: زكريا ويحيى وعيسى وإبراهيم وموسى وهارون وإسماعيل وإدريس وآدم ونوح ويعقوب، عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم.

[٢]المراغي، تفسير المراغي (٦٥/١٦).

[٣] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن(٢٠٩/١٨).

[٤] المصدر السابق (٢٠٩/١٨).

[٥] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن(٢٠٨/١٨-٢١٠).

[٦] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥١٤/٥).

المسألة الثانية: تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ٥٢﴾ مريم: ٥٢.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: وناديناه موسى من ناحية الجبل، ويعني بالأيمن: يمين موسى؛ لأنه الجبل لا يمين له ولا شمال، روي ذلك عن قتادة، وفي قوله ﴿وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ٥٢﴾ قال: نجا بصدقه"[١].

ويقول الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ٥٢﴾: "يقول تعالى ذكره: وأدنيناه مناجياً وذكر أن الله جل ثناؤه أدناه، حتى سمع صرير القلم"[٢]، روي ذلك عن ابن عباس ومجاهد وأبي العالية وميسرة[٣].

وذكر مثله في الدر عن سعيد بن جبير، وزاد عن السدي قال: أدخل في السماء فكلم، وعن عمرو بن معد يكرب قال: لما قر ب الله موسى نجياً بطور سينا قال: يا موسى إذا خلقت لك قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً وزوجة تعين على الخير فلم أخزن عنك من الخير شيئاً ومن أخزن عنه هذا فلم أفتح له من الخير شيئاً".[٤]

وهذه روايات إسرائيلية أفوض العلم بها لله سبحانه وتعالى.

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن(١٨/٢١٠).

[٢] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/٢١٠-٢١١)،

[٣] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/٢١٠-٢١١)،

[٤] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥/٥١٥).

المسألة الثالثة: تفسير قوله تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ٥٣﴾ مريم: ٥٣.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: ووهبنا لموسى رحمة منا أخاه هارون ﴿نَبِيًّا ٥٣﴾ يقول: أيدناه بنبوته، وأعناه بها"[١]، قال ابن عباس: قوله ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ٥٣﴾ قال: كان هارون أكبر من موسى، ولكن أراد وهب له نبوته".[٢]

المسألة الرابعة: تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤﴾ مريم: ٥٤.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر يا محمد في الكتاب إسماعيل بن إبراهيم، فاقصص خبره إنه كان لا يكذب وعده، ولا يخلف، ولكنه كان إذا وعد ربه، أو عبداً من عباده وعداً وفى به، روى ذلك ابن جريج، وهناك قصص كثيرة تدل على صدق إسماعيل ومنها أن عمرو بن الحارث حدثه سهل بن عقيل[٣] أن إسماعيل عليه السلام وعد رجلاً مكاناً أن يأتيه، فجاء ونسي الرجل، فظل به إسماعيل، وبات حتى جاء الرجل من الغد، فقال: ما برحت من ها هنا؟ قال: لا، قال: إني نسيت، قال: لم أكن لأبرح حتى تأتي، فبذلك كان صادقاً".[٤]

ذكر نحو هذه القصة في الدر عن سفيان الثوري وسهل بن سعد.[٥]

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢١١/١٨).

[٢] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢١١/١٨).

[٣]سهل بن عقيل الْأَنْصَارِيّ يروي عَن عبد الله بن هُبَيْرَة روى عَنهُ اللَّيْث بن سعد، (البخاري، التاريخ الكبير (١٠٠/٤))، (ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، الثقات، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط١ ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣، أجزاء (٤٠٦/٦)).

[٤] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢١١/١٨).

[٥] سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الساعدي، وهو آخر من مات بالمدينة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، توفي سنة ٨٨هـ. (البخاري، التاريخ الكبير=

المسألة الخامسة: تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ۝٥٥﴾ مريم:٥٥.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ﴾ بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ۝٥٥﴾؛ عمله محموداً فيما كلفه ربه، غير مقصر في طاعته".

المسألة السادسة: تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٥٦﴾ مريم: ٥٦.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: واذكر يا محمد في كتابنا هذا إدريس ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٥٦﴾ لا يقول الكذب، ﴿نَّبِيًّا ۝٥٦﴾ نوحي إليه من أمرنا ما نشاء".

وقد خلت الآيتان السابقتان من التفسير بالمأثور في كلا الكتابين.

المسألة السابعة: تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ مريم: ٥٧.

يقول الطبري: "يعني به إلى مكان ذي علو وارتفاع وقال بعضهم: رفع إلى السماء الرابعة".[1]

ويذكر الطبري رواية عن هلال بن يساف، قال: سأل ابن عباس كعباً وأنا حاضر، فقال له: ما قول الله تعالى لإدريس ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ قال كعب: أما إدريس، فإن الله أوحى إليه: إني رافع لك كل يوم مثل عمل جميع بني آدم، فأحب أن تزداد عملاً فأتاه خليل له من الملائكة، فقال: إن الله

=(٩٧/٤))، (المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (١٨٨/١٢-١٩٠)). يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥١٦/٥).

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢١٢/١٨).

أوحى إلي كذا وكذا، فكلم لي ملك الموت فليؤخرني حتى ازداد عملاً فحمله بين جناحيه، ثم صعد به إلى السماء؛ فلما كان في السماء الرابعة، تلقاهم ملك الموت منحدراً، فكلم ملك الموت في الذي كلمه فيه إدريس، فقال: وأين إدريس؟ فقال: هو ذا على ظهري، قال ملك الموت: فالعجب بعثت أقبض روح إدريس في السماء الرابعة، فجعلت أقول: كيف أقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض؟ فقبض روحه هناك، فذلك قول الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾"[١]، وروي مثله عن مجاهد وأبي سعيد الخدري وعن قتادة وعن أبي هريرة أو غيره.[٢]

وقال ابن كثير تعليقاً على هذه الرواية: "هذا من أخبار كعب الأحبار الإسرائيليات، وفي بعضه نكارة، والله أعلم"[٣].

وقال آخرون: لم يمت بل رفع كما رفع عيسى، روي ذلك عن مجاهد، وقال آخرون: بل رفع إلى السماء السادسة، روي ذلك عن ابن عباس والضحاك[٤]، ذكر مثله في الدر عن سمرة[٥] والسدي[٦].

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢١٢/١٢-٢١٣).

[٢] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢١٢/١٢-٢١٣).

[٣] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٢٤١/٥).

[٤] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢١٣/١٨).

[٥] سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبِ بْنِ هِلالِ بْنِ حَرِيجِ بن شمخ بن فزارة. وكان له حلف في الأنصار وصحب النبي – صلى الله عليه وسلم – وكان زياد بن أبي سفيان يستعمله على البصرة إذا قدم الكوفة، كان يحفظ عن رسول الله– صلى الله عليه وسلم –، اختلف في وفاته فقيل توفي سنة ٥٨ وقيل ٥٩ وقيل ٦٠. ((ابن سعد، الطبقات الكبرى (١٠٨/٦)، (ابن مَنْدَه، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى العبدي (المتوفى: ٣٩٥هـ)، معرفة الصحابة، حققه وقدم له وعلق عليه: الأستاذ الدكتور/ عامر حسن صبري، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، ط١ ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، جزء) (٨١٠/١))، (ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، (٥٥٤/٢)).

[٦] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥١٧/٥، ٥٢٤).

وذكر السيوطي في تفسيره لهذه الآية بعضاً من الروايات الإسرائيلية التي تخالف ما جاء في القرآن الكريم منها قصة الملائكة الثلاثة الذين فتنتهم امرأة وعصوا الله –عز وجل– على أمل الاستغفار لاحقاً.[1]

فهذا يخالف ما ثبت من عصمة الملائكة، ويخالف قوله تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ التحريم: ٦.

وما ذكره السيوطي من أمر قصة إدريس ورحلته بين الجنة والنار وغيره ذلك، أيضاً من الإسرائيليات، فأفوض علمها إلى الله –عز وجل–.

وأخلص إلى أن المقصود برفعه مكاناً علياً والله تعالى أعلى وأعلم رفع معنوي وحسي:

رفع معنوي: شرف النبوة والمنزلة والقدر والرفعة عند الله والناس جميعاً[2].

رفع حسي: رفعه للسماء الرابعة وهذا ما يؤيده حديث الإسراء والمعراج[3].

---

[1] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥/٥١٧– ٥٢٤).

[2] الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (المتوفى: ٣٣٣هـ)، تأويلات أهل السنة، حققه د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية –بيروت، لبنان، ط١ ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م، ١٠ أجزاء (٧/٢٠٥)، القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (المتوفى: ٤٦٥هـ)، لطائف الإشارات، حققه إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر، ط٣ (٢/٤٣٤)، النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (٢/٣٤١) وغيرهم.

[3] ابن جزي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، حققه الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم –بيروت، ط١– ١٤١٦هـ، (١/٤٨٢)،
الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن (المتوفى: ٧٤١هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، حققه محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية –بيروت، ط١ ١٤١٥هـ، (٣/١٩٠).

المسألة الثامنة: تفسير قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩ ٥٨﴾ مريم: ٥٨.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: هؤلاء الذين اقتصصت عليك أنباءهم في هذه السورة يا محمد، الذين أنعم الله عليهم بتوفيقه، فهداهم لطريق الرشد من الأنبياء من ذرية آدم، ومن ذرية من حملنا مع نوح في الفلك، ومن ذرية إبراهيم خليل الرحمن، ومن ذرية إسرائيل، وممن هدينا للإيمان بالله والعمل بطاعته واجتبينا، يقول: وممن اصطفينا واخترنا لرسالتنا ووحينا، فالذي عنى به من ذرية آدم إدريس، والذي عنى به من ذرية من حملنا مع نوح إبراهيم، والذي عنى به من ذرية إبراهيم إسحاق ويعقوب وإسماعيل، والذي عنى به من ذرية إسرائيل: موسى وهارون وزكريا وعيسى وأمه مريم، ولذلك فرق تعالى ذكره أنسابهم وإن كان يجمع جميعهم آدم؛ لأن فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح في السفينة، وهو إدريس، وإدريس جد نوح".[1]

وذكر مثله في الدر عن السدي، وزاد عن مجاهد في قوله: ﴿وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ﴾ قال خلصنا[2].

ويقول الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾: "إذا تتلى على هؤلاء الذين أنعم الله عليهم من النبيين أدلة الله وحججه التي أنزلها عليهم في كتبه، خروا لله سجداً، استكانة له

---

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢١٤/١٨).

[2] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٢٥/٥).

وتذللاً وخضوعاً لأمره وانقياداً، ﴿وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ يقول: خروا سجداً وهم باكون"[1]، وعن إبراهيم قال: قرأ عمر بن الخطاب سورة مريم فسجد وقال: هذا السجود، فأين البكي؟ يريد: فأين البكاء[2].

وبهذا تنتهي قصص الأنبياء –عليهم السلام– في سورة مريم، وفيما يلي بعض الملاحظات العامة.

المطلب الثالث: ملاحظات عامة على المبحث

المسألة الأولى: كثرة الروايات الاسرائيلية عند الطبري والسيوطي مثل الروايات الدالة على صدق نبي الله إسماعيل عليه السلام، كالتي رواها سهل بن عقيل، ورواها كعب الأحبار في تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ مريم: ٥٧[3]، وكذلك قصّة الملائكة الثلاثة الذين فتنتهم امرأة، وعصوا الله –عز وجل– على أمل الاستغفار لاحقاً، فكان من بين الروايات ما يخالف ما جاء في القرآن الكريم، ويناقض العقيدة الإسلامية الصحيحة فوضح بطلانه.

المسألة الثانية: خلو بعض الآيات من التفسير بالمأثور في كلا الكتابين، والاكتفاء بالتفسير اللغوي عند الطبري، ومن أمثلة تلك الآيات، قوله تعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾﴾ مريم: ٥٥ – ٥٦.

المسألة الثالثة: من الملاحظات أيضاً قلة زيادات السيوطي على الطبري في تفسير آيات هذا المبحث.

---

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/٢١٤–٢١٥).

[2] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/٢١٤–٢١٥).

[3] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٢/٢١٢–٢١٣).

المبحث الثالث

صفات خَلَفِ الأنبياء وجزاؤهم وصفات التائبين وأهل الجنة

الآيات الكريمة في صفات خَلَفِ الأنبياء وجزائهم وصفات التائبين ومستحقي الجنة:

قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ٦٠ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ٦١ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ٦٢ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ٦٣﴾ مريم: ٥٩ – ٦٣.

المطلب الأول: مناسبة الآيات الكريمة لما قبلها ومعناها العام

"بعد أن ذكر الله سبحانه حزب السعداء وهم الأنبياء ومن تبعهم بإحسان ممن قاموا بحدود الدين فاتبعوا أوامره وأدوا فرائضه وتركوا نواهيه"[1].، (أردف هذا بذكر من أضاع الصلاة التي هي عمود الدين، فهو من غيرها أضيع، واتبعوا شهوات أنفسهم فصارت هممهم منصرفة إليها، فجزاؤهم عند الله عذاباً مضاعفاً شديداً، إلا من تاب عن اتباع الشهوات، وندم على ما فات، وأقام الصلاة، وعمل العمل الصالح الذي شرعه الله. فأولئك جزاؤهم الجنة التي لا يضيع فيها أي عمل، وهذه الجنة ليست كسائر الجنات لسعتها، وكثرة ما فيها من الخيرات والسرور، والبهجة والحبور، ولا يسمعون فيها كلاماً باطلاً لا فائدة فيه، إلا الأقوال السالمة من كل عيب من ذكر لله، وتحية، وكلام سرور، ولهم

[1] المراغي، تفسير المراغي (٦٩/١٦).

أرزاقهم من المآكل والمشارب متى طلبوا ذلك، فهذه الجنة التي وصفت بهذه الصفات الشريفة، نورثها عبادنا المتقين الذين يطيعون الله في السر والعلن)[1].

المطلب الثاني: التفسير بالمأثور للآيات الكريمة

وفيه عدة مسائل:

المسألة الأولى: تفسير قوله تعالى: ﴿۞فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ٥٩﴾ مريم: ٥٩.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: فحدث من بعد هؤلاء الذين ذكرت من الأنبياء الذين أنعمت عليهم، ووصفت صفتهم في هذه السورة، خلف سوء في الأرض أضاعوا الصلاة".[2]

ثم اختلف أهل التأويل في صفة إضاعتهم الصلاة:

قال بعضهم: كانت إضاعتهموها تأخيرهم إياها عن مواقيتها، وتضييعهم أوقاتها، روي ذلك عن القاسم بن مخيمرة[3] وإبراهيم بن يزيد[4] وابن مسعود[5]، وذكر مثله في الدر عن عمر بن عبد العزيز.[6]

---

[1] السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٤٩٦/١).

[2] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢١٥/١٨).

[3] أبو عروة الكوفي، كان مؤذناً وثقة وله أحاديث، توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة مائة (ابن سعد، الطبقات الكبرى (٣٠٣/٦))، (المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٤٢٢/٢٣، ٤٤٧)).

[4] إبراهيم بن يزيد النصري، من بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوزان، كان من حرس عمر بن عبد العزيز. (الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المتفق والمفترق، درسه وحققه الدكتور محمد صادق آيدن= =الحامدي، دار القادري للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ٣ أجزاء (١٩٧/١)، (ابن عساكر، تاريخ دمشق (٢٧٦/٧)).

[5] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢١٥/١٨-٢١٦).

[6] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٢٦/٥).

وقال آخرون: بل كانت إضاعتهموها: تركها، روي ذلك عن القرظي[1].

ويرجّح الطبري بين الأقوال قائلاً: وأولى التأويلين في ذلك عندي بتأويل الآية، قول من قال: إضاعتهموها تركهم إياها لدلالة قول الله تعالى ذكره بعده على أن ذلك كذلك، وذلك قوله جل ثناؤه: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ فلو كان الذين وصفهم بأنهم ضيعوها مؤمنين لم يستثن منهم من آمن، وهم مؤمنون ولكنهم كانوا كفاراً لا يصلون لله، ولا يؤدون له فريضة فسقة قد آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله، وقد قيل: إن الذين وصفهم الله بهذه الصفة قوم من هذه الأمة يكونون في آخر الزمان.[2]

وأرى أن إضاعتها، تأخيرها، فتوعده بالغي ليس دليلاً على تركها مطلقاً، فالله تعالى توعد المصلين الساهين عن صلاتهم بالويل في قوله تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥﴾ الماعون: ٤ – ٥، وأما اجتماع التوبة والإيمان فهذا واجب لأي توبة نصوحا.

وروي عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ۝٥٩﴾ قال: عند قيام الساعة، وذهاب صالحي أمة محمد صلى الله عليه وسلم ينزو بعضهم على بعض في الأزقة. قال محمد بن عمرو: زنا. وقال الحارث: زناة، روي عن مجاهد وعكرمة

---

[1] أبو عبد الله وهو محمد بن كعب بن حيان بن سليم بن أسد القرظي، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، كان ثقة عالماً كثير الحديث ورعا، توفي سنة ١٠٨هـ. (الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (١٦٠/٣))، (ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٣٧٧/٣)).

[2] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢١٦/١٨–٢١٧).

وعطاء بن أبي رباح[١]، وزاد في الدر عن السدي في قوله: : ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾ قال: هم اليهود والنصارى[٢].

وروي عن أبي تميم بن مهاجر[٣] في قول الله تعالى: : ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قال: هم في هذه الأمة يتراكبون تراكب الأنعام والحمر في الطرق، لا يخافون الله في السماء، ولا يستحيون الناس في الأرض[٤]، ذكر مثله في الدر عن مجاهد[٥].

وأما قوله تعالى: ﴿فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ٥٩﴾، فيقول الطبري في تفسيره: "يعني أن هؤلاء الخلف الذين خلفوا بعد أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين سيدخلون غياً، وهو اسم واد من أودية جهنم، أو اسم بئر من آبارها"[٦].

---

[١] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢١٧/١٨).

[٢] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٢٦/١٨).

[٣] قال صاحب المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري "أبو تميم بن مهاجر، من السابعة، لم أعرفه، ولم أجد له ترجمة، ولم أقف له في ((التفسير)) على غير هذا الأثر، ولعل (أبو تميم)، مصَحَف من: (إبراهيم) وهو ابن مهاجر (١٢٩٥)، ثم رأيت الشيخ التركي في تحقيقه ((لتفسير الطبري)) ذهب إلى ما ذهبت إليه أيضًا، مستندًا إلى بعض مصادر التخريج، (الفلوجي، أكرم بن محمد زيادة الأثري، المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري، تقديم: علي حسن عبد الحميد الأثري، الدار الأثرية، الأردن – دار ابن عفان، القاهرة، جزئين (٦٨٤/٢).

[٤] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢١٧/١٨).

[٥] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٢٦/٥).

[٦] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢١٧/١٨).

وروي عن لقمان بن عامر الخزاعي[1]، قال: جئت أبا أمامة صُدَيْ بن عَجْلان الباهلي[2]، فقلت: حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فدعى بطعام، ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو أن صخرة زنة عشر أواقٍ قذف بها من شفير جهنم ما بلغت قعرها خمسين خريفاً، ثم تنتهي إلى غي وأثام، قال: قلت وما غي وما أثام؟ قال: بئران في أسفل جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار، وهما اللتان ذكر الله في كتابه : ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ۝٥٩﴾، وقوله في سورة الفرقان: ﴿وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ۝٦٨﴾ الفرقان: ٦٨[3]، وذكر مثله في الدر عن أبي أمامة[4].

---

[1] صاحب أبي أمامة صُدي الباهلي، صدوق، قال أبو حاتم يكتب حديثه (الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (المتوفى: ٧٤٨هـ)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، حققه علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط١ ١٣٨٢هـ-١٩٦٣م، ٤ أجزاء. (٤١٩/٣)).

[2] أبو أمامة الباهلي، صدي بن عجلان، صاحب رسول الله –صلى الله عليه وسلم – ونزيل حمص، توفي سنة ٨٦هـ في خلافة عبد الملك بن مروان. (ابن سعد، الطبقات الكبرى (٤١١/٧ – ٤١٢)، (ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار (٨٦/١))، (الذهبي، سير أعلام النبلاء (٣٥٩/٣))

[3] المروزي، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج (المتوفى: ٢٩٤هـ)، تعظيم قدر الصلاة، حققه د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار –المدينة المنورة، ط١ ١٤٠٦، جزأين، باب الوعيد على من أضاعها (١١٩/١)، الطبراني، المعجم الكبير، باب لقمان بن عامر عن أبي أمامة (١٧٥/٨)، الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم (المتوفى: ٣٦٠هـ)، مسند الشاميين، حققه حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة –بيروت، ط١ ١٤٠٥-١٩٨٤، ٤ أجزاء، باب لقمان عن أبي أمامة (٤٠٥/٢). يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢١٧/١٨-٢١٨)، وقد ضعفه محقق التفسير النبوي (خالد بن عبد العزيز الباتلي، التفسير النبوي مُقَدِّمَةٌ تَأْصِيلِيَّةٌ مَعَ دِرَاسَةٍ حَدِيثِيَّةٍ لِأَحَادِيثِ التَّفْسِيرِ النَّبَوِيِّ الصَّرِيح، دار كنوز إشبيلياً للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م، جزأن، (٥٣٩/٢))، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رواه الطبراني وفيه ضعفاء قد وثقهم ابن حبان وقال يخطئون الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (المتوفى: ٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م، ١٠ أجزاء (٣٨٩/١٠)، وضعفه الألباني. الألباني، محمد ناصر الدّين، ضَعيفُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط١ ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م، جزأن (٤٤٤/٢).

[4] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٢٨/٥).

وقيل في تفسير الغي ثلاثة أقوال؛ القول الأوّل: واد في جهنم أو بئر أو نهر، روي ذلك عن عبد الله بن عمرو[١] وعن ابن مسعود[٢]، و ذكر في الدر مثله عن ابن مسعود والبراء بن عازب وابن عباس وعائشة رضي الله عنهم وشفي بن ماتع [٣].

أمّا القول الثاني: الخسران، روي ذلك عن ابن عباس، والقول الثالث: الشر، روي ذلك عن ابن زيد[٤]، وذكر مثله في الدر عن قتادة[٥].

ويعلق الطبري على تلك الأقوال قائلاً: "وكل هذه الأقوال متقاربات المعاني، وذلك أن من ورد البئرين اللتين ذكرهما النبي صلى الله عليه وسلم، والوادي الذي ذكره ابن مسعود في جهنم، فدخل ذلك، فقد لاقى خسراناً وشراً، حسبه به شراً".[٦]

ويرى الشنقيطي عدم ثبوت شيء ممّا سبق، حيث قال: "الظاهر أنه لم يصح في ذلك شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم"[٧].

---

[١] عبد الله بن عمرو بن العاص بن لؤي بن غالب، صاحب النبي صلى الله عليه وسلم وحفظ عنه ألف مثل وكان يقرأ الكتب ويصوم النهار ويقوم الليل، اختلف في وفاته فقيل توفي سنة ٦٣ وقيل ٦٥ وقيل ٦٨. (أبو نعيم، معرفة الصحابة (١٧٢٠/٣–١٧٢١))، (ابن عساكر، تاريخ دمشق، (٢٣٨/٣١، ٢٤١)).

[٢] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢١٨/١٨).

[٣] شفي بن ماتع الأصمعي من حمير وله أحاديث، توفي في خلافة هشام بن عبد الملك (ابن سعد، الطبقات الكبرى (٣٥٥/٧).يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٢٧/٥–٥٢٨).

[٤] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢١٩/١٨).

[٥] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٢٨/٥).

[٦] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢١٩/١٨).

[٧] الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤٤٦/٣).

المسألة الثانية: تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ٦٠﴾ مريم: ٦٠.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: فسوف يلقى هؤلاء الخلف السوء الذي وصف صفتهم غياً إلا الذين تابوا فراجعوا أمر الله، والإيمان به وبرسوله ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ يقول: وأطاع الله فيما أمره ونهاه عنه، وأدى فرائضه، واجتنب محارمه من هلك منهم على كفره، وإضاعته الصلاة واتباعه الشهوات".[1]

ويقول الطبري في تفسير قوله تعالى:﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ٦٠﴾: "يقول تعالى ذكره: ولا يبخسون من جزاء أعمالهم، ولا يجمع بينهم وبين الذين هلكوا من الخلف السوء منهم قبل توبتهم من ضلالهم، وقبل إنابتهم إلى طاعة ربهم في جهنم، ولكنهم يدخلون مدخل أهل الإيمان".[2]

المسألة الثالثة: تفسير قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ٦١﴾ مريم: ٦١.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: فأولئك يدخلون الجنة،... ويعني بقوله ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾ بساتين إقامة".[3]

ويقول الطبري في تفسير قوله تعالى ﴿ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾: " يقول تعالى ذكره: هذه الجنات هي الجنات التي وعد الرحمن عباده المؤمنين أن يدخلوها بالغيب؛ لأنهم لم يروها ولم

---

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢١٩/١٨).
[2] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢٠/١٨).
[3] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢٠/١٨).

يعاينوها، فهي غيب لهم. وقوله ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ٦١﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله كان وعده، ووعده في هذا الموضع موعوده، وهو الجنة مأتياً يأتيه أولياؤه وأهل طاعته الذين يدخلهموها الله".[1]

وقد خلت الآيتان السابقتان من التفسير بالمأثور، واكتفى الطبري بذكر المعنى اللغوي.

المسألة الرابعة: تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ٦٢﴾ مريم: ٦٢.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: لا يسمع هؤلاء الذين يدخلون الجنة فيها لغواً، وهو الهذي والباطل من القول والكلام"[2]، وذكر نحوه في الدر عن ابن عباس، وزاد عن مجاهد في قوله: ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا﴾ قال: لا يستبون[3].

ويقول الطبري في قوله تعالى: ﴿إِلَّا سَلَٰمٗاۖ﴾: "وهذا من الاستثناء المنقطع، ومعناه: ولكن يسمعون سلاماً، وهو تحية الملائكة إياهم".[4]

ويقول الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ٦٢﴾: "يقول: ولهم طعامهم وما يشتهون من المطاعم والمشارب في قدر وقت البكرة ووقت العشي من نهار أيام الدنيا، وإنما يعني أن الذي بين غدائهم وعشائهم في الجنة قدر ما بين غداء أحدنا في الدنيا وعشاءه، وكذلك ما بين العشاء والغداء وذلك لأنه لا ليل في الجنة ولا نهار، وذلك كقوله: ﴿۞قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ

---

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢١٩/١٨-٢٢٠).

[2] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢١٩/١٨-٢٢٠).

[3] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٢٨/٥).

[4] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢١٩/١٨-٢٢٠).

ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ فصلت: ٩، ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾ الأعراف: ٥٤، يعني به: من أيام الدنيا".[١]

قال زهير بن محمد[٢]، في قول الله عز وجل: ﴿وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ٦٢﴾، قال: " ليس في الجنة ليل، وهم في نور أبدي، ولهم مقدار الليل والنهار، يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب، وفتح الأبواب". [٣]

وروي عن الحسن في شأن أبواب الجنة، قال: أبواب يرى ظاهرها من باطنها، فَتَكَلَّمُ وَتُكَلَّمُ، فتُهَمْهَم: انفتحي انغلقي، فتفعل.[٤]

وروي عن يحيى بن أبي كثير[٥]، قال: كانت العرب في زمانهم من وجد منهم عشاء وغداء، فذاك الناعم في أنفسهم، فأنزل الله ﴿وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ٦٢﴾: قدر ما بين غدائكم في الدنيا إلى عشائكم[٦]، وذكر نحوه في الدر عن الحسن[٧].

وروي عن قتادة قال: كانت العرب إذا أصاب أحدهم الغداء والعشاء عجب له، فأخبرهم الله أن لهم في الجنة بكرة وعشياً، قدر ذلك الغداء والعشاء. وفي رواية أخرى عنه "فيها ساعتان بكرة وعشياً،

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢١/١٨).

[٢] زهير بن محمد بن قمير بن شعبة، أبو محمد مروزي الأصل، كان ثقة صادقاً ورعاً زاهداً، اختلف في وفاته فقيل توفي سنة ٢٥٧هـ، وقيل ٢٥٨هـ. (البغدادي، تاريخ بغداد (٥١١/٩))، (الذهبي، سير أعلام النبلاء (٣٦١/١٢)).

[٣] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢١/١٨).

[٤] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢١/١٨).

[٥] الإمام الحافظ، أبو نصر الطائي مولاهم، اليمامي، كان طلابة للعلم حجة، توفي سنة ١٢٩. (الذهبي، سير أعلام النبلاء (٢٧/٦))،

[٦] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢١/١٨).

[٧] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٢٩/٥).

فإن ذلك لهم ليس ثم ليل، إنما هو ضوء ونور[١]، ذكر نحوه في الدر عن الحسن وأبي قلابة[٢] عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–[٣].

وروي عن مجاهد، قال: ليس بكرة ولا عشياً، ولكن يؤتون به على ما كانوا يشتهون في الدنيا.[٤]

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من غداة من غدوات الجنة كل الجنة غدوات إلا أن يزف إلى ولي الله تعالى فيها زوجة من الحور العين أدناهن التي خلقت من زعفران".[٥]

المسألة الخامسة: تفسير قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ مريم: ٦٣.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: هذه الجنة التي وصفت لكم أيها الناس صفتها، هي الجنة التي نورثها، يقول: نورث مساكن أهل النار فيها"[٦]، وذكر مثله في الدر عن ابن شوذب[٧].

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢١/١٨).

[٢] أبو قلابة الجرمي البصري، عبد الله بن زيد أو عامر بن ناتل بن مالك أبو عمرو، كان ثقة كثير الحديث توفي سنة ١٠٤هـ أو ١٠٥هـ. (ابن سعد، الطبقات الكبرى (١٨٣/٧، ١٨٥))، (الذهبي، سير أعلام النبلاء (٤٦٨/٤، ٤٧١)).

[٣] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٢٩/٥).

[٤] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢١/١٨).

[٥] ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، (١٣١/٨)، وقال ابن كثير في تفسيره: قال أبو محمد: هذا حديث منكر، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٥/ ٢٤٨). يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٢٩/٥).

[٦] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢٢/١٨).

[٧]عبد الله بن شوذب، صدوق إمام من طبقة الأوزاعي، روى له أرباب السنن. الذهبي، ميزان الاعتدال (٤٤٠/٢). ينظر السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٢٩/٥).

ويقول الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ٦٣﴾، " من كان ذا اتقاء عذاب الله بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه"[١]، ذكر نحوه في الدر عن داود بن أبي هند[٢].

هذه صفات خَلَفِ الأنبياء، ومن يرث الجنة، وجزاء التائبين –جعلنا الله منهم ولا حرمنا فردوسه–، وأذكر ختاماً أبرز الملاحظات على هذا المبحث في المطلب التالي.

المطلب الثالث: ملاحظات عامة على المبحث

في المسائل التالية أهم الملاحظات العامة على التفسير بالمأثور لآيات هذا المبحث:

المسألة الأولى: معظم الاختلاف الوارد في تفسير الآيات كان من قبيل اختلاف التنوع لا التضاد، ولهذا أمثلة في هذا المبحث، منها الاختلاف في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا﴾، فقد ورد عن ابن عبّاس رضي الله عنهما رواية تفيد أن معنى اللغو هو الهذي والباطل من القول والكلام[٣]، وورد عن مجاهد أن معنى ذلك: لا يستبّون[٤]، والسُباب هو من قبيل الكلام الباطل، فلا خلافَ حقيقياً بين القولين.

المسألة الثانية: فيما يتعلق بصحة الروايات، فقد تم اعتماد بعض الروايات الضعيفة في التفسير مثل الروايات الواردة في تفسير قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢٢/١٨).

[٢] دَاوُد بْن أَبي هِند، أَبو مُحَمد، ويكنى أبو بكر مَولَى بني قُشير، البَصرِيّ، مات سنة ١٣٩ في طريق مكة. ((ابن سعد، الطبقات الكبرى (١٨٩/٧))، (البخاري، التاريخ الكبير (٢٣١/٣)).يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٢٩/٥).

[٣] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢١٩/١٨–٢٢٠).

[٤] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٢٨/٥).

فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ مريم: ٥٩، وما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾﴾ من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من غداة من غدوات الجنة كل الجنة غدوات إلا أن يزف إلى ولي الله تعالى فيها زوجة من الحور العين أدناهن التي خلقت من زعفران"[1].

المسألة الثالثة: خلو تفسير آيات هذا المبحث من الروايات الاسرائيلية؛ فلم ألحظ خلال جمعي للروايات المأثورة أياً من الروايات الإسرائليلة في كلا الكتابين.

المسألة الرابعة: الملاحظات فيما يتعلق بمنهج الطبري والسيوطي:

١. وجود ترجيحات وتعليقات للطبري على بعض الآيات مثل ترجيحه بأنّ المقصود بإضاعة الصلاة في قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ مريم: ٥٩، هو تركهم إياها.

كذلك ما ورد من تعليقه على الأقوال الواردة في معنى ﴿غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾، وتلك الأقوال كانت: واد في جهنم، خسراناً، شراً، فقد قال: "وكل هذه الأقوال متقاربات المعاني، وذلك أن من ورد البئرين اللتين ذكرهما النبي صلى الله عليه وسلم، والوادي الذي ذكره ابن مسعود في جهنم، فدخل ذلك، فقد لاقى خسراناً وشراً، حَسْبه به شراً".[2]

---

[1] سبق تخريجه. ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، (١٣١/٨).ص١٠٦

[2] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢١٩/١٨).

٢. وجود بعض الزيادات للسيوطي على الطبري، ومثال ذلك زيادة رواية عن مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ مريم: ٦٢، قال: لا يستبون[١].

٣. ورد في مواضع تفسير الآيات التي لم يرد فيها مرويات، فيها تفسير لغوي من اجتهاد الإمام الطبري، ومثال ذلك الآيات: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ۝٦٠ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ۝٦١﴾ مريم: ٦٠ – ٦١.

[١] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٢٨/٥).

المبحث الرابع

تنزل الوحي بأمر الله –عز وجل–

الآيات الكريمة في تنزل الوحي بأمر الله:

قال تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ مريم: ٦٤ – ٦٥.

المطلب الأول: مناسبة الآيتين الكريمتين لما قبلها ومعناها العام

بعد أن ذكر قصص الأنبياء عليهم السلام تثبيتاً له –صلّى الله عليه وسلّم– وأعقبه بذكر ما أحدثه الخلف بعدهم، وذكر جزاء الفريقين، أعقب ذلك بقصص تأخر نزول جبريل على النبي –صلّى الله عليه وسلم–، إذ زعم المشركون أن الله ودّعه وقلاه، وقد رد عليهم زعمهم وأبان لهم أن الأمر على غير ما زعموا.[1]

عن ابن عبّاس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – لجبريل: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر ممّا تزورنا»، فنزلت: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾[2].

---

[1] المراغي، تفسير المراغي (١٦/٧٠–٧١).

[2]، كتاب تفسير القرآن باب {وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا} [مريم: ٦٤]، ٤٧٣١ (٦/٩٤)، البخاري، صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: {ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين} [الصافات: ١٧١]، ٧٤٥٢ (٩/١٣٥)الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، أسباب نزول القرآن، حققه عصام بن عبد الم١٢حسن الحميدان، دار الإصلاح –الدمام، ط٢ ١٤١٢هـ–١٩٩٢م (١/٣٠١)،

المطلب الثاني: التفسير بالمأثور للآيتين الكريمتين

وفيه عدة مسائل:

المسألة الأولى: تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ مريم: ٦٤.

يقول الطبري: "ذُكر أن هذه الآية نزلت من أجل استبطاء رسول الله – صلى الله عليه وسلم – جبرائيل الوحي"[١]، روي ذلك عن ابن عباس، أن محمداً –صلى الله عليه وسلم– قال لجبرائيل: "ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا" فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾: هذا الجواب لمحمد –صلى الله عليه وسلم–». وروي مثله عن قتادة ومجاهد والضحاك[٢]، وذكر نحوه في الدر عن أنس وعكرمة والسدي[٣].

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ﴾:

١. فقال بعضهم: يعني بقوله ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ من الدنيا، وبقوله ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ الآخرة ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ﴾ النفختين، روي ذلك عن الربيع وأبي العالية[٤]، وذكر نحوه في الدر عن ابن عباس وعكرمة[٥].

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢٢/١٨).

[٢] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢٤/١٨).

[٣] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٣٢/٥).

[٤] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢٤/١٨).

[٥] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٣٢/٥).

٢. وقال آخرون ﴿مَابَيْنَ أَيْدِينَا﴾ الآخرة ﴿وَمَاخَلْفَنَا﴾ الدنيا ﴿وَمَابَيْنَ ذَالِكَ﴾ ما بين الدنيا والآخرة، روي ذلك عن ابن عباس والضحاك وقتادة وفي رواية أخرى عن قتادة ﴿مَابَيْنَ أَيْدِينَا﴾ من الآخرة ﴿وَمَاخَلْفَنَا﴾ من الدنيا ﴿وَمَابَيْنَ ذَالِكَ﴾ ما بين النفختين[١]، وذكر مثله في الدر عن سعيد بن جبير.[٢]

٣. وقال آخرون في ذلك عن ابن جريج ﴿مَابَيْنَ أَيْدِينَا﴾ قال: ما مضى أمامنا من الدنيا﴿وَمَاخَلْفَنَا﴾ ما يكون بعدنا من الدنيا والآخرة ﴿وَمَابَيْنَ ذَالِكَ﴾ قال: ما بين ما مضى أمامهم وبين ما يكون بعدهم[٣].

ويرجّح الطبري بين الأقوال قائلاً: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: معناه: له ما بين أيدينا من أمر الآخرة؛ لأن ذلك لم يجئ وهو جاء، فهو بين أيديهم، فإن الأغلب في استعمال الناس إذ اقالوا: هذا الأمر بين يديك، أنهم يعنون به ما لم يجئ، وأنه جاء، فلذلك قلنا: ذلك أولى بالصواب. وما خلفنا من أمر الدنيا، وذلك ما قد خلفوه فمضى، فصار خلفهم بتخليفهم إياه، وكذلك تقول العرب لما قد جاوزه المرء وخلفه هو خلفه، ووراءه وما بين ذلك: ما بين ما لم يمضِ من أمر الدنيا إلى الآخرة؛ لأن ذلك هو الذي بين ذَينك الوقتين"[٤]، وما رجحه الطبري دليله قوي؛ لأنه اعتمد على لغة العرب في الترجيح وقد نزل القرآن بهذه اللغة ويفهم بناءً عليها.

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢٤/١٨).
[٢] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٣١/٥).
[٣] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢٤/١٨).
[٤] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢٤/١٨- ٢٢٥).

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ يقول: ولم يكن ربك ذا نسيان، فيتأخر نزولي إليك بنسيانه إياك بل هو الذي لا يعزب عنه شيء في السماء ولا في الأرض فتبارك وتعالى ولكنه أعلم بما يدبر ويقضي في خلقه، روي ذلك عن مجاهد[١]، ذكر نحوه في الدر عن السدي، وعن أبي الدرداء[٢] وجابر[٣] وسلمان[٤].

المسألة الثانية: تفسير قوله تعالى: ﴿رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ مريم: ٦٥.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: لم يكن ربك يا محمد رب السماوات والأرض وما بينهما نسياً؛ لأنه لو كان نسياً لم يستقم ذلك، ولهلك لولا حفظه إياه، فالرب مرفوع رداً على قوله ربك وقوله

﴿فَاعْبُدْهُ﴾ يقول: فالزم طاعته، وذل لأمره ونهيه ﴿وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ﴾ يقول: واصبر نفسك على النفوذ لأمره ونهيه، والعمل بطاعته، تفز برضاه عنك، فإنه الإله الذي لا مثل له ولا عدل ولا شبيه في جوده وكرمه وفضله ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ يقول: هل تعلم يا محمد لربك هذا الذي أمرناك بعبادته، والصبر على طاعته مثلاً في كرمه وجوده، فتعبده رجاء فضله وطوله دونه كلا ما ذلك

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢٥/١٨).

[٢] قيل عويمر بن عامر وقيل عويمر بن ثعلبة بن عامر بن زيد بن الخزرج بن الحارث، كان فقيهاً عابداً، عالماً قارئاً أحد الأربعة الذين أوصى معاذ بن جبل أصحابه أن يأخذوا العلم عنهم، اختلف في سنة وفاته فقيل توفي سنة ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤هـ. (أبو نعيم، معرفة الصحابة (٢١٠٢/٤)، (ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٢٢٧/٣، ١٢٣٠).

[٣] جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي، أحد المكثرين عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، شهد كثيراً من الغزوات مع النبي –صلى الله عليه وسلم– ومنها بدراً، اختلف في وفاته فقيل توفي سنة ٧٤، ٧٧، ٧٨هـ. (البخاري، التاريخ الكبير (٥٤٦/١–٥٤٧)، (ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢١٩/١).

[٤] أبو عبد الله مولى رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، انتسب إلى الإسلام فقال سلمان بن الإسلام، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "لا بل سلمان منا أهل البيت"، كان خيراً فاضلاً حبراً عالماً زاهداً متقشفاً، توفي سنة ٣٥، ٣٦هـ. (ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٦٣٤/٢، ٦٣٥، ٦٣٨))، (أبو نعيم، معرفة الصحابة (١٣٢٧/٣)). يُنظر هذه الأقوال في: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٣١/٥).

بموجود"[1]، عن ابن عباس في قوله ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ يقول: هل تعلم للرب مثلاً أو شبيهاً، روي ذلك عن مجاهد وقتادة وابن جريج[2].

هذا ما تيسر عرضه في تفسير آيات هذا المبحث، وفيما يلي بعض الملاحظات العامة على ما تمّ عرضه.

المطلب الثالث: ملاحظات عامة على المبحث

بعد عرض التفسير بالمأثور للآيات الكريمة الواردة في تنزل الوحي بأمر الله –عز وجل–، أذكر هنا أبرز الملاحظات على هذا المبحث في المسألتين التاليتين:

المسألة الأولى: ظهور اجتهاد الإمام الطبري، وذلك من خلال ترجيحه بين الأقوال، مدعّماً ترجيحه بالدليل، إمّا من الشرع، أو استعمال اللغة، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ﴾ مريم: ٦٤، حيث قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: معناه: له ما بين أيدينا من أمر الآخرة؛ لأن ذلك لم يجئ وهو جاء، فهو بين أيديهم، فإن الأغلب في استعمال الناس إذ اقالوا: هذا الأمر بين يديك، أنهم يعنون به ما لم يجئ، وأنه جاء، فلذلك قلنا: ذلك أولى بالصواب. وما خلفنا من أمر الدنيا، وذلك ما قد خلفوه فمضى، فصار خلفهم بتخليفهم إياه، وكذلك تقول العرب لما قد جاوزه المرء وخلفه هو خلفه، ووراءه وما بين ذلك: ما بين ما لم يمضِ من أمر الدنيا إلى الآخرة؛ لأن ذلك هو الذي بين ذَينك الوقتين".

المسألة الثانية: فيما يتعلق بالروايات الإسرائيلية، فالملاحظ خلو تفسير الآيتين الواردتين في هذا المبحث من الروايات الإسرائيلية.

---

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢٦/١٨).

[2] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢٦/١٨).

الفصل الرابع

مواقف عن البعث والجزاء

ويشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأوّل: شبهات في البعث.

المبحث الثاني: الحديث عن نسبة الولد لله عز وجل، والرد عليه، ومصير كل من المؤمنين والكافرين يوم القيامة.

المبحث الثالث: محبة المؤمنين وتيسير الذكر المبين وإهلاك المجرمين.

تمهيد

تطرقت في الفصلين الثاني والثالث من هذا البحث للتفسير بالمأثور لبعضٍ من قصص الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– وخلَفِهم، وجزاء المسلمين والكافرين، وتأخُّر الوحي، وسأعرض في هذا الفصل من خلال التفسير بالمأثور لمواقفَ في البعث والجزاء في سورة مريم؛ وذلك من خلال الحديث عن بعض الشبهات في البعث، والحديث عن نسبة الولد لله –سبحانه–، والرد عليه، ومصير كل من المؤمنين والكافرين يوم القيامة، وأخيراً الحديث عن محبة المؤمنين، وتيسير الذكر المبين، وإهلاك المجرمين.

المبحث الأوّل

شبهات في البعث

الآيات الكريمة في شبهات البعث:

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيّٗا ٦٦ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ٦٧ فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ٦٨ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ٦٩ ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا ٧٠ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ٧٢ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ٧٣ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا ٧٤ قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا ٧٥ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدّٗا ٧٦ أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا ٧٧ أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ٧٨ كَلَّاۚ سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا ٧٩ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأۡتِينَا فَرۡدٗا ٨٠ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا ٨١ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدّٗا ٨٢﴾ مريم: ٦٦ – ٨٢.

المطلب الأول: مناسبة الآيات الكريمة لما قبلها ومعناها العام

(بعد أن أمر سبحانه بالعبادة والمصابرة عليها على ما فيها من مشاق وشدائد– أبان فائدة ذلك وهي أنها تنجيهم يوم الحشر يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وهو يوم لا ريب فيه ولا وجه لإنكاره، فإن إعادة الإنسان أهون على من بدأه، ثم ذكر ما يلقاه الكافرون يومئذ من الذل والهوان، ثم أردف ذلك ببيان أن جميع الخلائق ترد على النار ولا ينجو منها إلا من اتقى ربه وأخلص في عمله،) (فيقول الإنسان الكافر منكرًا للبعث بعد الموت: أإذا ما مِتُّ وفَنِيتُ لسوف أُخرَج من قبري حيًا؟!، كيف نسي هذا الإنسان الكافر نفسه؟ أولا يَذْكُر أنا خلقناه أول مرة، ولم يكُ شيئًا موجودًا؟ فوربك – أيها الرسول – لنجمعن هؤلاء المنكرين للبعث يوم القيامة مع الشياطين، ثم لنأتين بهم أجمعين حول جهنم باركين على رُكَبهم؛ لشدة ما هم فيه من الهول، لا يقدرون على القيام).[1]

(ثم لنأخذنَّ مِن كل طائفة أشدَّهم تمردًا وعصيانًا لله، فنبدأ بعذابهم، ثم لنحن أعلم بالذين هم أَوْلى بدخول النار ومقاساة حرها، وما منكم – أيها الناس – أحد إلا وارد النار بالمرور على الصراط المنصوب على متن جهنم، كل بحسب عمله، كان ذلك أمرًا محتومًا، قضى الله – سبحانه – وحكم أنه لا بد من وقوعه لا محالة، ثم ننجي الذين اتقوا ربهم بطاعته والبعد عن معصيته، ونترك الظالمين لأنفسهم بالكفر بالله في النار باركين على رُكَبهم، وإذا تتلى على الناس آياتنا المنزلات الواضحات قال الكفار بالله للمؤمنين به: أيُّ الفريقين منَّا ومنكم أفضل منزلاً وأحسن مجلسًا؟!).[2]

---

[1] التركي، عبد الله بن عبد المحسن، وآخرون، (التفسير الميسر)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، ط٢، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م (٣١٠/١).

[2] التركي وآخرون، التفسير الميسر بتصرف (٣١٠/١).

(وكثيرًا أهلكنا قبل كفار قومك – أيها الرسول – من الأمم كانوا أحسن متاعًا منهم وأجمل منظرًا.

قل – أيها الرسول – لهم: من كان ضالاً عن الحق غير متبع طريق الهدى، فالله يمهله ويملي له في ضلاله، حتى إذا رأى – يقينًا – ما توعَّده الله به: إما العذاب العاجل في الدنيا، وإما قيام الساعة، فسيعلم – حينئذ – مَن هو شر مكانًا ومستقرًا، وأضعف قوة وجندًا، ويزيد الله عباده الذين اهتدوا لدينه هدىً على هداهم بما يتجدد لهم من الإيمان بفرائض الله، والعمل بها. والأعمالُ الباقيات الصالحات خيرٌ ثوابًا عند الله في الآخرة، وخيرٌ مرجعًا وعاقبة).

(ولمَّا بيَّن هول جهنم وجحيمها عَجِبَ مِمَّن أنكر ذلك اليوم والحشر فقال لسيدنا محمد أفلا تتعجب من حال هذا الكافر الذي أنكر البعث وقال إنه سيدخل الجنة ويكون عنده الولد والمال، فهل عنده علم الغيب أم أخذ عهدًا وميثاقًا من الله بهذا؟! ليس الأمر كما زعم وسنكتب ما قال ونزيد له من العذاب والعقوبة أنواعًا، ونرث ماله وولده فينتقل للآخرة فردًا وحيدًا بلا مال أو ولد ليلقى جزاءه ، فهؤلاء اتخذوا من دون الله آلهة غير الله سبحانه وبها يعتزون، فسينقلبون عليهم أعداء)[1].

[1] التركي وآخرون، التفسير الميسر بتصرف (٣١٠/١ – ٣١١).

المطلب الثاني: التفسير بالمأثور للآيات الكريمة

وفيه عدّة مسائل:

المسألة الأولى: تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ٦٦﴾ مريم: ٦٦.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ الكافر الذي لا يصدق بالبعث بعد الموت أخرُجُ حيًّا، فأُبْعَثُ بعد الممات وبعد البلاء والفناء إنكارًا منه ذلك".[1]

ذُكِرَ في الدر عن ابن جريج: قالها العاص بن وائل.[2]

المسألة الثانية: تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ٦٧﴾ مريم:٦٧.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: ﴿أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ المتعجب من ذلك المنكر قدرة الله على إحيائه بعد فنائه، وإيجاده بعد عدمه في خلق نفسه، أن الله خلقه من قبل مماته، فأنشأه بشرًا سويًا من غير شيء ﴿وَلَمۡ يَكُ﴾ من قبل إنشائه إياه ﴿شَيۡـٔٗا ٦٧﴾، فيعتبر في ذلك ويعلم أن من أنشأه من غير شيء لا يعجز عن إحيائه بعد مماته، وإيجاده بعد فنائه".[3]

المسألة الثالثة: تفسير قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ٦٨﴾ مريم: ٦٨.

---

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢٧/١٨).

[2] العاص أو العاصي بن وائل بن هاشم السهمي، أحد الحكام بالجاهلية ووالد عمرو بن العاص توفي سنة ٣ ق .هـ، ٦٢٠ م. (الزركلي، الأعلام (٢٤٧/٣). يُنظر السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٣٢/٥).

[3] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢٧/١٨).

يقول الطبري: "يقول تعالى ذِكْرُهُ لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فوربك يا محمد لنحشرنّ هؤلاء القائلين: أئذا متنا لسوف نخرج أحياء يوم القيامة من قبورنا، مقرنين بأوليائهم من الشياطين ﴿ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ٦٨﴾ والجثي: جمع الجاثي".[1]

قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ٦٨﴾ يعني: القعود، وهو مثل قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗ ٢٨﴾ الجاثية: ٢٨.[2]

وزاد في الدر عن السدي رضي الله عنه في قوله: ﴿حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ٦٨﴾ قال: قيامًا.[3]

والقيام ضدّ القعود، فهذا الاختلاف بين الأقوال هو من قبيل اختلاف التضاد والتباين، وما أرجحه هو معنى جثياً القعود لأنه أكثر دلالة على هيبة الموقف، حيث إن القوى قد خارت فلم هناك حيلة للوقوف.

المسألة الرابعة: تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ٦٩﴾ مريم:٦٩.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذِكْرُهُ: ثم لنأخذنَّ من كل جماعة منهم أشدهم على الله عتوًا، وتمردًا فلنبدأن بهم"[4]، رُوِيَ نحو ذلك عن أبي الأحوص[5] وابن عباس ومجاهد وابن جريج.[6]وذكر مثله في الدر عن قتادة وابن مسعود.[7]

---

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢٧/١٨).

[2] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢٧/١٨ – ٢٢٨).

[3] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٣٣/٥).

[4] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢٨/١٨).

[5] أبو الأحوص الكوفي، عوف بن مالك بن نضلة الأشجعي، كان ثقة وله أحاديث، قتله الخوارج في أيام الحجاج بن يوسف. (ابن سعد، الطبقات الكبرى (١٨١/٦ – ١٨٢)، (المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٤٤٥/٢٢ – ٤٤٦).

[6] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢٨/١٨).

[7] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٣٣/٥)

يعقّب الطبري على ذكر الشِّيعة قائلاً: "الشيعة هم الجماعة المتعاونون على الأمر من الأمور، يقال من ذلك: تشايع القوم: إذا تعاونوا؛ ومنه قولهم للرجل الشجاع:إنه لمشيع: أي معان، فمعنى الكلام: ثم لننزعنّ من كل جماعة تشايعت على الكفر بالله أشدهم على الله عتوًا، فلنبدأن بإصلائه جهنم. والتشايع في غير هذا الموقع: التفرق؛ ومنه قول الله عز ذكره: ﴿وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ الأنعام: ١٥٩، يعني: فرقًا؛ ومنه قول ابن مسعود أو سعد؛ إني أكره أن آتي رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فيقول:شيعت بين أمتي، بمعنى فرقت"[١]، عن عكرمة في قوله تعالى:﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾﴾ قال: في الدنيا.[٢]

المسألة الخامسة: تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾ مريم: ٧٠.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذِكْرُهُ: ثم لنحن أعلم من هؤلاء الذين ننزعهم من كلّ شيعة أولاهم بشدّة العذاب، وأحقهم بعظيم العقوبة".[٣]

وذُكر عن ابن جريج في قوله ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾ قال: أولى بالخلود في جهنم[٤].

ويعلق الطبري على قول ابن جريج قائلاً: "وهذا الذي قاله ابن جريج، قول لا معنى له، لأن الله تعالى ذِكْرُهُ أخبر أن الذين ينزعهم من كلّ شيعة من الكفرة أشدّهم كفرًا، ولا شكّ أنه لا كافر بالله إلا وهو مخلَّد في النار، فلا وجه، وجميعهم مخلدون في جهنم، لأنه يقال: ثم لنحن أعلم بالذين هم أحقّ

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢٨/١٨ – ٢٢٩).
[٢] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٣٣/٥).
[٣] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢٩/١٨).
[٤] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢٩/١٨).

بالخلود من هؤلاء المخلدين، ولكن المعنى في ذلك ما ذكرنا. وقد يحتمل أن يكون معناه: ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى ببعض طبقات جهنَّم صليًا".[1]

وذُكر في الدر عن ابن عباس قوله: " إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم، وزيد في سعتها كذا وكذا، وجمع الخلائق بصعيد واحد، جنهم وإنسهم، ثم ذكر الحديث بطوله إلى أن قال: فينادي مناد: ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم، ليقم الحمادون لله على كل حال، فيقومون، فيسرحون إلى الجنة، ثم ينادي الثانية: ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم، أين الذين كانت ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ السجدة: ١٦؛ فيقومون فيسرحون إلى الجنة، ثم ينادي الثالثة: ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم؟ أين الذين ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ النور: ٣٧؛ فيقومون فيسرحون إلى الجنة. فإذا أخذ من هؤلاء ثلاثة، خرج عنق من النار فأشرف على الخلائق له عينان تبصران ولسان فصيح فيقول: إني وكلت منكم بثلاثة: بكل جبار عنيد، فتلتقطهم من الصفوف لقط الطير حب السمسم، فتحبس بهم في جهنم، ثم تخرج ثانية فتقول: إني وكلت منكم بمن آذى الله تعالى ورسوله، فتلتقطهم من الصفوف لقط الطير حب السمسم، فتحبس بهم في جهنم، ثم تخرج ثالثة فتقول: إني وكلت بأصحاب التصاوير، فتلقطهم من الصفوف لقط الطير حب السمسم، فتحبس بهم في جهنم، فإذا أخذ من هؤلاء ثلاثة، ومن هؤلاء ثلاثة: نشرت الصحف،

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢٩/١٨).

ووضعت الموازين، ودعي الخلائق للحساب. وقد ذكر السيوطي الحديث في الدر المنثور، وحسّن إسناده ابن جرير.[1]

المسألة السادسة: تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ مريم: ٧١.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذِكْرُهُ: وإن منكم ايها الناس إلا وارد جهنم، كان على ربك يا محمد إيرَادُهُمُوهَا قضاء مقضيًا، قد قضى ذلك وأوجبه في أم الكتاب".[2]

واختلف أهل العلم في معنى الورود الذي ذكره الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: الدخول، روي ذلك عن ابن عباس وابن جريج وخالد بن معدان[3] وأبو خالد[4] وكعب وأبو إسحاق[5]، وقيس بن أبي حازم[6] وابن مسعود.[7] وذكر مثله في الدر عن مجاهد.[8]

وقال آخرون: بل هو المرور عليها، روي ذلك عن قتادة وعبد الله.

---

[1] ابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي (المتوفى: ١٨١هـ)، الزهد والرقائق، حققه حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية – بيروت.(١٠١/١)، الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٤/ ٤١٨). يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٣٤/٥ – ٥٣٥).

[2] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢٩/١٨).

[3] أبو عبد الله الشافي، الحمصي، خالد بن معدان بن أبي كرب الكلاعي، كان ثقة، اختلف في وفاته، فقيل توفي سنة ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦. (ابن سعد، الطبقات الكبرى (٤٥٥/٧)، (المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (١٦٧/٨ ، ١٧٣).

[4] أبو خالد البصري، يزيد بن سنان بن سعيد القرشي الأموي، الإمام الحافظ الثقة، اختلف في وفاته فقيل توفي سنة ١٦٤، ٢٦٤.(الذهبي، سير أعلام النبلاء (٥٥٤/١٢)، (المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (١٥٢/٣٢، ١٥٤، ١٥٥).

[5] عمرو بن عبد الله بن علي بن معاوية بن همدان، من أعيان التابعين، أختلف في سنة وفاته فقيل توفي سنة ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٢. (ابن سعد، الطبقات الكبرى، (٣١٣/٦ – ٣١٤)، (ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٤٥٩/٣).

[6] قيس بن أبي حازم، وأبيه حازم، هو عوف بن عبد الحارث، قد شهد قيس القادسية، أَسْلَمَ وَأَتَى النَّبِيَّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لِيُبَايِعَهُ، فَقُبِضَ نَبِيُّ اللهِ وَقَيْسٌ فِي الطَّرِيْقِ، وَلأَبِيْهِ أَبِي حَازِمٍ صُحْبَةٌ، توفي سنة ٩٧ أو ٩٨. (ينظر ابن سعد، الطبقات الكبرى (١٣١/٦)، الذهبي، سير أعلام النبلاء (٢٠١/٤)).

[7] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢٩/١٨ – ٢٣٢).

[8] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٣٥/٥).

وقال آخرون: بل الورود: هو الدخول، ولكنه عنى الكفار دون المؤمنين، روي ذلك عن ابن عباس وعكرمة.

وقال آخرون: بل الورود عام لكل مؤمن وكافر، غير أن ورود المؤمن المرور، وورود الكافر الدخول، روي ذلك عن ابن زيد.

وقال آخرون: ورود المؤمن ما يصيبه في الدنيا من حمى ومرض، روي ذلك عن مجاهد وأبي هريرة قال: خرج رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يعود رجلاً من أصحابه وبه وعْك وأنا معه، ثم قال: "إن الله يقول: هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن، لتكون حظه من النار في الآخرة"[1].

وقال آخرون: يردها الجميع، ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم، روي ذلك عن عبد الله ومجاهد وأبو الزبير[2] والحسن وعمرو بن الحارث.[3]

---

[1] ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (المتوفى: ٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجة، حققه محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي، جزأين. (١١٤٩/٢)، الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المعجم الأوسط، حققه ارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة، ١٠ أجزاء (٨/١)، البيهقي، أبو بكر، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، (المتوفى: ٤٥٨هـ)، السنن الكبرى، حققه محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، ط٣ ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م (٥٣٥/٣)، الحاكم، المستدرك على الصحيحين (٤٩٦/١). وصححه الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين،= =بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١ ، ٦ أجزاء (٩٨/٢).

[2] محمد بن مسلم بن تدرس القرشي الأسدي المكي، ثقة كثير الحديث. (ابن سعد، الطبقات الكبرى (٤٨١/٥)، (المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٤٠٢/٢٦، ٤٠٦).

[3] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٣٢/١٨ –٢٣٤).

وذكر نحوه في الدر عَن أبي سميَّة[1] قَالَ: اخْتَلَفْنَا فِي الْوُرُود فَقَالَ بَعْضنَا: لَا يدخلهَا مُؤمن وَقَالَ بَعضهم: يدْخلُونَهَا جَمِيعًا، ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ فَلَقِيت جَابر بن عبد الله فَذكرت لَهُ فَقَالَ: وأهوى بِأُصْبُعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ صمتًا إِن لم أكن سَمِعت رَسُول الله – صلى الله عَلَيْهِ وَسلم –يَقُول: لَا يبْقى بر وَلَا فَاجر إِلَّا دَخلهَا فَتكون على الْمُؤمن بردًا وَسلَامًا كَمَا كَانَت على إِبْرَاهِيم حَتَّى أَن للنار ضَجِيجًا من بردهمْ ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝٧٢﴾.[2]

ويرجّح الطبري بين الأقوال قائلاً : "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون، فينجيهم الله، ويهوي فيها الكفار، وَوُرُودُهُمُوهَا هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم ، فناجٍ مُسَلَّم ومُكَدَّسٌ فيها، وأذكر طرفًا من هذه الأقوال: عن أمّ مبشر امرأة زيد بن حارثة[3]، قالت: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وهو في بيت حفصة: "لا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ شَهِدَ بَدْرًا والحُدَيْبِيَةَ،

---

[1] مجهول ذكره ابن حبان في الثقات (ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤) ، الثقات، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط١ ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣، ٩ أجزاء (٥٦٩/٥).

[2] أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، حققه شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١ ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م (٣٩٦/٢٢)، عبد بن حميد، أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكَسّي (المتوفى: ٢٤٩هـ)، المنتخب من مسند عبد بن حميد، حققه صبحي البدري السامرائي ، محمود محمد خليل الصعيدي، مكتبة السنة – القاهرة، ط١ ١٤٠٨ – ١٩٨٨ (٣٣٣/١)، البيهقي، أبو بكر، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، (المتوفى: ٤٥٨هـ)، شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط١ ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م، ١٤ جزءً. (٥٧٢/١). وقال: "هذا اسناد حسن"، الهيثمي، أبو الحسن نور الدين (المتوفى: ٨٠٧)، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، حققه د. حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية – المدينة المنورة، ط١ ١٤١٣ – ١٩٩٢، جزأين (١٠٠٥/٢)، وذكره ابن كثير وقال "غريب ولم يخرجوه". ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٥/ ٢٥٢). وقال شعيب الأرنأوط: " إسناده ضعيف لجهالة أبي سُمية". يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٣٥/٥).

[3] يقال لها أم بشر، بنت البراء بن معرور، وكانت من كبار الصحابة (المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٣٨٥/٣٥)، (ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٩٥٧/٤).

قالت: فقالت حفصة: يا رسول الله، أليس الله يقول ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾؟ فقال رسول الله: "فمَهْ ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ ".[1]

وروي عن أبي الزبير، قال: سألت جابر بن عبد الله عن الورود، فقال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يقول: "هُوَ الدُّخولُ، يَرِدُونَ النَّارَ حتى يَخْرُجُوا مِنْها، فآخِرُ مَنْ يَبْقَى رَجُلٌ عَلى الصِّراطِ يَزْحَف، فَيرْفَعُ اللهُ لَهُ شَجَرَةً، قالَ: فَيَقُولُ: أيْ رَبّ أدْنِنِي مِنْها، قالَ: فَيُدْنيهِ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعالى مِنْها، قالَ: ثُمَّ يَقُولُ: أيْ رَبّ أدْخِلْنِي الجَنَّةَ، قالَ: فَيَقُولُ: سَلْ، قالَ: فَيَسألُ، قال: فَيَقُولُ: ذلكَ لَكَ وَعَشْرَةُ أضعافِهِ أوْ نَحْوَها؛ قال: فَيَقُولُ: يا ربّ تَسْتهزِئُ بِي؟ قالَ: فَيَضْحَكُ حتى تَبْدُوَ لَهْوَاتُهُ وأضْرَاسُهُ".[2]

يقول الطبري: "وأما قوله: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم معناه: كان على ربك قضاء مقضيًا"[3]، روي ذلك عن مجاهد وابن جريج، وقال آخرون: بل معناه: كان على ربك قسمًا واجبًا، روي ذلك عن ابن مسعود وقتادة .[4]

---

[1] إسحاق بن راهويه، أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي (المتوفى: ٢٣٨هـ)، مسند إسحاق ابن راهويه حققه د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان – المدينة المنورة، ط١ ١٤١٢ – ١٩٩١، ٥ أجزاء (١٩٦،١٨٩/٤)، أحمد بن حنبل، مسند أحمد (٥٩٠/٤٤)، ابن أبي عاصم، أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، الآحاد والمثاني، حققه د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية – الرياض، ط١ ١٤١١ – ١٩٩١، ٦ أجزاء (١٠١/٦)، ابن أبي عاصم، أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، السنة، حققه محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، ط١ ١٤٠٠، جزأين (٤١٤/٢)، أبو نعيم، معرفة الصحابة (٣٥٥٧/٦)، الطبراني، المعجم الكبير (٢٠٨/٢٣). وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح.

[2]؛ يُنظر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٣٤/١٨ – ٢٣٦).

[3] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٣٧/١٨).

[4] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٣٧/١٨).

وأرى أن هذا من قبيل اختلاف التنوع وليس بالتضاد والنتيجة واحدة، وقد بين الرازي أن معنى ذلك أن الله أوجبه على نفسه، والله لا يخلف عهده[1].

المسألة السابعة: تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝٧٢﴾ مريم: ٧٢.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذِكْرُهُ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ من النار بعد ورود جميعهم إياها، ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ فخافوه، بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝٧٢﴾ يقول جل ثناؤه: وندع الذين ظلموا أنفسهم، فعبدوا غير الله، وعصوا ربهم، وخالفوا أمره ونهيه في النار جثياً، يقول: بروكًا على ركبهم".[2]

روي نحوه عن قتادة وابن زيد، فعن قتادة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝٧٢﴾: "إن الناس وردوا جهنم وهي سوداء مظلمة، فأما المؤمنون فأضاءت لهم حسناتهم، فأنجوا منها. وأما الكفار فأوبقتهم أعمالهم، واحتبسوا بذنوبهم".[3]

المسألة الثامنة: تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ۝٧٣﴾ مريم: ٧٣.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذِكْرُهُ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ﴾ على الناس ﴿ءَايَٰتُنَا﴾ التي أنزلناها على رسولنا محمد ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾، يعني واضحات لمن تأملها وفكر فيها أنها أدلة على ما جعلها الله أدلة عليه

---

[1] يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب (٥٥٩/٢١).

[2] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٣٨/٨).

[3] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٣٨/٨).

لعباده، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بكتابه وآياته، وهم قريش، ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فصدقوا به، وهم أصحاب محمد ﴿بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا﴾ يعني بالمقام: موضع إقامتهم، وهي مساكنهم ومنازلهم ﴿وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ٧٣﴾ وهو المجلس، يقال منه: ندوت القوم أندوهم ندوًا: إذا جمعتهم في مجلس، ويقال: هو في ندي قومه وفي ناديهم: بمعنى واحد...، وتأويل الكلام: وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات، قال الذين كفروا للذين آمنوا: أي الفريقين منا ومنكم أوسع عيشًا، وأنعم بالاً وأفضل مسكنًا، وأحسن مجلسًا، وأجمع عددًا وغاشيةً في المجلس، نحن أم أنتم؟"[1]، روي نحو ذلك عن ابن عباس.[2]

ويقول الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ﴾: " قال: قريش تقولها لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم﴿وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ٧٣﴾ قال: مجالسهم"[3]، وبمثله قال ابن عباس ومجاهد وقتادة.[4]

المسألة التاسعة: تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا ٧٤﴾ مريم:٧٤.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذِكْرُهُ: وكم أهلكنا يا محمد قبل هؤلاء القائلين من أهل الكفر للمؤمنين، إذا تتلى عليهم آيات الرحمن، أي الفريقين خير مقامًا، وأحسن نديًا، مجالس من قرن هم أكثر متاعَ منازلٍ مِن هؤلاء، وأحسن منهم منظرًا وأجمل صورًا، فأهلكنا أموالهم، وغيرنا صورهم".[5]

---

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٣٨/١٨ – ٢٣٩).
[2] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٣٩/١٨).
[3] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٤٠/١٨).
[4] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٤٠/١٨).
[5] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٤٠/١٨).

قال أهل التأويل في قوله: ﴿أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا ٧٤﴾ قال ابن عباس الرئي: المنظر، والأثاث: المتاع، ذكر نحوه عن قتادة ومجاهد وابن زيد وأبو معاذ[١]، وعن الحسن، في قوله ﴿أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا ٧٤﴾ قال: الأثاث: أحسن المتاع، والرئي قال: المال. [٢]

المسألة العاشرة: تفسير قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا ٧٥﴾ مريم: ٧٥.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذِكْرُهُ لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم، القائلين: إذا تتلى عليهم آياتنا، أي الفريقين منا ومنكم خيرٌ مقامًا وأحسن نديًا، من كان منا ومنكم في الضلالة جائرًا عن طريق الحق، سالكاً غير سبيل الهدى، فيمدد له الرحمن مدًّا: يقول: فليطول له الله في ضلالته، وليمله فيها إملاء"[٣]، ذكر نحو ذلك عن مجاهد.[٤]

ويقول الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾: "يقول تعالى ذكره: قل لهم: من كان منا ومنكم في الضلالة، فليمدد له الرحمن في ضلالته إلى أن يأتيهم أمر الله، إما عذاب عاجل، أو يلقوا ربهم عند قيام الساعة التي وعد الله خلقه أن يجمعهم لها، فإنهم

---

[١] سليمان بن أرقم الأنصاري البصري، قيل عنه ليس ثقة، روى أحاديث منكرة،، متروك الأحاديث. (ابن عدي ، الكامل في ضعفاء الرجال، (٢٢٨/٤ – ٢٢٩)، (المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٣٥١/١١ – ٣٥٤).

[٢] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٤٠/١٨-٢٤١).

[٣] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٤٣/١٨).

[٤] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٤٣/١٨).

إذا أتاهم وعد الله بأحدِ هذين الأمرين ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ ومسكنًا منكم ومنهم ﴿وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾﴾ أهم أم انتم؟ ويتبينون حينئذ أيّ الفريقين خير مقامًا، وأحسن نديًا". [1]

المسألة الحادية عشر: تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾ مريم: ٧٦.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذِكْرُهُ: ويزيد الله من سلك قصد المحجة، واهتدى لسبيل الرشد، فآمن بربه، وصدّق بآياته، فعمل بما أمره به، وانتهى عما نهاه عنه هدى بما يتجدّد له من الإيمان بالفرائض التي يفرضها عليه، ويقرّ بلزوم فرضها إياه، ويعمل بها، فذلك زيادة من الله في اهتدائه بآياته هدى على هداه، وذلك نظير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ التوبة: ١٢٤، وقد كان بعضهم يتأول ذلك: ويزيد الله الذين اهتدوا هدى بناسخ القرآن ومنسوخه، فيؤمن بالناسخ، كما آمن من قبل بالمنسوخ، فذلك زيادة هدى من الله له على هُدَاه من قبل ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ مريم: ٧٦، يقول تعالى ذِكْرُهُ: والأعمال التي أمر الله بها عباده ورضيها منهم، الباقيات لهم غير الفانيات الصالحات، خير عند ربك جزاء لأهلها ﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ مريم: ٧٦، عليهم من مقامات هؤلاء المشركين بالله، وأنديتهم التي يفتخرون بها على أهل الإيمان في الدنيا".[2]

---

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/٢٤٤).

[2] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/٢٤٤ – ٢٤٥).

يقول الطبري: "واختلف أهل التأويل في المعني بالباقيات الصالحات، اختلافهم في المعنى بالدعاء الذي وصف جلّ ثناؤه به الذين نهى رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، عن طردهم، وأمره بالصبر معهم، فقال بعضهم: هي الصلوات الخمس، وقال بعضهم: هي ذكر الله بالتسبيح والتقديس والتهليل، ونحو ذلك، وقال بعضهم: هي العمل بطاعة الله، وقال بعضهم: الكلام الطيب"[١]، وممن قال بأنها الصلوات الخمس: ابن عباس وسعيد بن جبير وعمرو بن شرحبيل[٢] وإبراهيم وأبو ميسرة.[٣] ميسرة.[٣]

أما عن من قال: هنّ ذكر الله بالتسبيح والتحميد ونحو ذلك، فهم الحارث مولى عثمان[٤] وابن عباس وسعيد بن المسيب ومجاهد وابن جريج وعطاء بن رباح وأبو أيوب الأنصاري[٥] عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وأبو هريرة والحسن وقتادة وأبوسعيد الخدري[٦] وعن أبي سلمة[٧] بن عبد الرحمن ابن عوف، قال: "جلس النبي –صلى الله عليه وسلم– ذات يوم، فأخذ عودًا يابسًا،

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٣١/١٨– ٣٢).

[٢] أبو ميسرة الكوفي، عمرو بن شرحبيل الهمداني كان من العباد توفي سنة(٦٣)، (المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٦٠/٢٢)، (ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، حققه عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ – ١٤١٥ هـ، ٨ أجزاء (١١٣/٥).

[٣] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٣١/١٨– ٣٢).

[٤] هو أبو صالح، الحارث بن عبيد المدني مولى عثمان بن عفان، توفي في خلافة معاوية (أكرم بن محمد زيادة الفالوجي الأثري، المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري، تقديم: علي حسن عبد الحميد الأثري، الدار الأثرية، الأردن – دار ابن عفان، القاهرة، جزءان. (٨٢٩/٢).

[٥] خالد بن زيد بن كليب الأنصاري الخزرجي النجاري، شهد بدرا والعقبة والمشاهد كلها، اختلف في وفاته فقيل توفي سنة٥٠هـ، ٥١هـ)، (أبو نعيم، معرفة الصحابة (٩٣٣/٢)، (ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة (٢٢/٦)

[٦] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٣٢ – ٣٤).

[٧] أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف بن زهرة بن كلاب وهو عبد الله الأصغر، كان ثقة فقيها كثير الحديث طلابا للعلم حجة، توفي سنة ٩٤ . (ابن سعد، الطبقات الكبرى (١٥٥/٥، ١٥٧)، (الذهبي، سير أعلام النبلاء (٢٨٧/٤، ٢٨٩).

فحطّ ورقه ثم قال: إنَّ قَوْلَ لا إله إلا اللهُ، واللهُ أكْبَرُ، والحَمْدُ للهِ وسُبْحَانَ اللهِ، تَحطُّ الخَطايا، كمَا تَحُطُّ وَرَقَ هذِهِ الشَّجَرَةِ الرِّيحُ، خُذْهُنَّ يا أبا الدَّرْدَاءِ قَبْلَ أنْ يُحَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُنَّ، هُنَّ البَاقِيَاتُ الصَّالِحاتُ، وَهُنَّ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ"، قال أبو سلمة: فكان أبو الدرداء إذا ذكر هذا الحديث قال: لأهللنّ الله، ولأكبرنّ الله، ولأسبحنّ الله، حتى إذا رآني الجاهل حسب أني مجنون[1].

ورو عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله أن معنى ذلك: هو العمل بطاعة الله عزّ وجل، وروي عنه أيضاً في معنى ذلك أنه: الكلم الطيب[2].

ويرجّح الطبري بين الأقوال قائلاً: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: هنّ جميع أعمال الخير، كالذي رُوي عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، لأن ذلك كله من الصالحات التي تبقى لصاحبها في الآخرة، وعليها يجازى ويُثاب، وإن الله عزّ ذكره لم يخصص من قوله: ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا﴾ بعضاً دون بعض في كتاب، ولا بخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن ظنّ ظانّ أن ذلك مخصوص بالخبر الذي رويناه عن أبي هريرة، عن النبي –صلى الله عليه وسلم–، فإن ذلك بخلاف ما ظن، وذلك أن الخبر عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إنما ورد بأن قول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، هنّ من الباقيات

---

[1] رواه عبد الرزاق الصنعاني، أبو بكر عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، تفسير عبد الرزاق، دار الكتب العلمية، حققه د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، سنة ١٤١٩هـ، ٣ أجزاء (١٠١/١)، قال ابن كثير وهذا ظاهره أنه مرسل، ولكن قد يكون من رواية أبي سلمة، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٢٥٩/٥)، وفي سنده عمر بن راشد اليماني وقد وثق على ضعفه وباقي اسناده اسناد الثقات، يُنظر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٤٥/١٨).

[2] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٤٥/١٨).

الصالحات، ولم يقل: هنّ جميع الباقيات الصالحات، ولا كلّ الباقيات الصالحات، وجائز أن تكون هذه باقيات صالحات، وغيرها من أعمال البرّ أيضا باقيات صالحات".[١]

وما رجّحه الإمام الطبري ظاهر القوة، وقوي الدليل.

المسألة الثانية عشر: تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧﴾ مريم: ٧٧.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذِكْرُهُ لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ يا محمد﴿ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ حججنا فلم يصدق بها، وأنكر وعيدنا من أهل الكفر ﴿وَقَالَ﴾ وهو بالله كافر وبرسوله ﴿لَأُوتَيَنَّ﴾ في الآخرة ﴿مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧﴾".[٢]

وذُكر أن هذه الآيات أنزلت في العاص بن وائل السهمي أبي عمرو بن العاص، حيث ورد عن خباب[٣]، قال: كنت رجلا قينا[٤]، وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه، فقال: والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث، قال: فقال: فإذا أنا مت

---

[١] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٣٥/١٨).

[٢] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٤٥/١٨).

[3] هو خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن تميم،" مهاجري أولي" ، سادس الإسلام من السابقين الأوّلين، توفي سنة ٣٧ (أبو نعيم، معرفة الصحابة (٩٠٦/٣ – ٩٠٧)، (ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة (١٤٧/٢).

[٤]قال الجوزي: "وَمِنْه قَول خباب بن الأرَد كنت قينا فِي الْجَاهِلِيَّة أَي صانعا والقينة الْأمة صانعة كَانَت أَو غير صانعة وَقَالَ غَيره مَعْنَى كنت قينا حدادا وَمِنْه قَوْله إِلَّا الْإِذْخر فَإِنَّهُ للقيون وهم الحدادون جمع قين". الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (المتوفى: ٥٩٧هـ)، غريب الحديث، حققه الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط١ ١٤٠٥ – ١٩٨٥، جزأين، (٢٧٦/٢). وقال ابن الأثير: قَين: وهو الحدَّاد والصَّائغ. ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، حققه طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، ٥أجزاء (١٣٥/٤).

ثم بعثت كما تقول، جئتني ولي مال وولد، قال: فأنزل الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾، إلى قوله: ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾، وروي مثل هذا الحديث عن مجاهد وقتادة وابن عباس[١]، وذكر مثله في الدر عن الحسن[٢].

المسألة الثالثة عشر: تفسير قوله تعالى: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾ مريم: ٧٨.

يقول الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾: "يقول عز ذِكْرُهْ: أَعَلِمَ هذا القائل هذا القول عِلْمَ الغيب، فَعَلِمَ أن له في الآخرة مالاً وولدًا باطلاعه على علم ما غاب عنه ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾ يقول: أم آمن بالله وعمل بما أمر به، وانتهى عما نهاه عنه، فكان له بذلك عند الله عهدًا أن يؤتيه ما يقول من المال والولد"[٣]، وقال قتادة: بعمل صالح قدمه[٤]، وذكر في الدر عن ابن عباس في قوله: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾ قال: لا إله إلا الله يرجو بها[٥].

المسألة الرابعة عشر: تفسير قوله تعالى: ﴿كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾﴾ مريم: ٧٩.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذِكْرُهْ بقوله ﴿كَلَّا ۚ﴾: ليس الأمر كذلك، ما اطلع الغيب، فعلم صدق ما يقول، وحقيقة ما يذكر، ولا اتخذ عند الرحمن عهدًا بالإيمان بالله ورسوله، والعمل بطاعته، بل كذب وكفر، ثم قال تعالى ذِكْرُهْ ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾: أي سنكتب ما يقول هذا الكافر بربه، القائل

---

[١] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٤٥/١٨ – ٢٤٦).

[٢] السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٣٦/٥).

[٣] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٤٨/١٨)

[٤] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٤٨/١٨)

[٥] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٣٦/٥).

﴿لَأُوتَيَنَّ﴾ في الآخرة ﴿مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧﴾ ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ۝٧٩﴾ يقول: ونزيده من العذاب في جهنم بقيله الكذب والباطل في الدنيا، زيادة على عذابه بكفره بالله".[١]

المسألة الخامسة عشر: تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ۝٨٠﴾ مريم: ٨٠.

يقول الطبري: "يقول عز ذِكْرُهْ، ونسلب هذا القائل: لأوتين في الآخرة مالاً وولدًا، ويصير لنا ماله وولده دونه، ويأتينا هو يوم القيامة فردًا، وحده لا مال معه ولا ولد".[٢]

روي نحوه عن مجاهد وقتادة وابن زيد وابن عباس. [٣]

المسألة السادسة عشر: تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ۝٨١﴾ مريم: ٨١.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: واتخذ يا محمد هؤلاء المشركون من قومك آلهة يعبدونها من دون الله، لتكون هؤلاء الآلهة لهم عزًا، يمنعونهم من عذاب الله، ويتخذون عبادتهموها عند الله زلفى".[٤]

المسألة السابعة عشر: تفسير قوله تعالى: ﴿كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۝٨٢﴾ مريم:٨٢.

يقول الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿كَلَّا ۚ﴾: "يقول عز ذِكْرُهْ: ليس الأمر كما ظنوا وأملوا من هذه الالهة التي يعبدونها من دون الله، في أنها تنقذهم من عذاب الله، وتنجيهم منه، ومن سوء إن أرادهم بهم ربهم، وقوله: ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ يقول عز ذِكْرُهْ: ولكن ستكفر الآلهة في الآخرة

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٤٨/١٨)

[٢] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٤٨/١٨)

[٣] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٤٨/١٨)

[٤] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٤٨/١٨ – ٢٤٩).

بعبادة هؤلاء المشركين يوم القيامة إياها، وكفرهم بها قيلهم لربهم: تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون، فجحدوا أن يكونوا عبدوهم أو أمروهم بذلك، وتبرءوا منهم، وذلك كفرهم بعبادته...، وأما قوله ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ٨٢﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: معنى ذلك: وتكون آلهتهم عليهم عونًا، وقالوا: الضد: العون"[1]، روي ذلك عن ابن عباس ومجاهد.[2]

وقال آخرون: بل عنى بالضد في هذا الموضع: القرناء، روي ذلك عن ابن عباس وقتادة.

وقال آخرون: معنى الضد ها هنا: العدو، روي ذلك عن الضحاك، وقال آخرون: معنى الضد في هذا الموضع: البلاء، روي ذلك عن ابن زيد.[3]

وزاد في الدر عن ابن عباس وعكرمة في معنى الضد قالوا: حسرة.[4]

ويجتهد الطبري في بيان معنى الضد فيقول: "الضد: البلاء، والضد في كلام العرب: هو الخلاف، يقال: فلان يضاد فلانًا في كذا، إذا كان يخالفه في صنيعه، فيفسد ما أصلحه، ويصلح ما أفسده، وإذا كان ذلك معناه، وكانت آلهة هؤلاء المشركين الذين ذكرهم الله في هذا الموضع يتبرءون منهم، وينتفون يومئذ، صاروا لهم أضدادًا، فوصفوا بذلك، والأقرب للمعنى اللغوي أعداءً".[5]

عن أبي نهيك الأزدي في قوله: ﴿كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ﴾ يعني الآلهة كلها إنهم سيكفرون بعبادتهم[6].

وفي نهاية التفسير بالمأثور في هذا المبحث أختم بملاحظات عامة عليه في المطلب التالي.

---

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٤٩/١٨-٢٥٠).
[2] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٥٠/١٨).
[3] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن(٢٥٠/١٨).
[4] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٣٧/٥).
[5] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن(٢٥١/١٨).
[6] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٥١/١٨).

المطلب الثالث: ملاحظات عامّة على المبحث

وبعد الانتهاء من عرض التفسير بالمأثور للآيات المتعلقة ببعض الشبهات حول البعث، فقد خلصت لبعض الملاحظات العامّة والتي تمت الإشارة إلى بعض جزئياتها في ثنايا البحث، وذلك ضمن المسائل التالية:

المسألة الأولى: مقدار المواضع التي خلت من التفسير بالمأثور في هذا المبحث قليلة، ومن الأمثلة على الآيات التي خلت من المأثور قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾﴾ مريم: ٦٧.

المسالة الثانية: ورود بعض الروايات الضعيفة مثل الحديث الوارد عن أبي الزبير، وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ مريم: ٧١. [1]

المسألة الثالثة: الاختلاف الملاحظ بين المرويات في هذا المبحث، هو من قبيل اختلاف التنوع ومن الأمثلة على ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ مريم: ٧١، حيث ورد عن مجاهد وابن جريج أنّ معنى ذلك: كان على ربك قضاء مقضياً، وقال ابن مسعود وقتادة: كان على ربك قسماً واجباً؛ فقضاه وأوجبه كلاهما يفيد معنى اللزوم في الفعل، فهما من قبيل الاختلاف في العبارة.

---

[1] سبق ذكره وتخريجه في صفحة ١٣٧.

كذلك فقد ورد خلاف من قبيل التضاد، كما جاء في تفسير قوله تعالى: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ٦٨﴾، فقد ورد عن ابن عباس في معنى (الجِثِيّ) أنه القعود[1]، وورد عن السدي أن معنى ذلك قيامًا[2]، والقعود ضد القيام في اللغة.

المسألة الرابعة: ملاحظات حول منهج الإمامين الطبري والسيوطي:

١. تأكيداً لما سبق ذكره في المباحث السابقة من كون الإمام السيوطي أكثر جمعاً لمادة المأثور من الإمام الطبري، فقد لاحظت في هذا المبحث، ليست زيادة السيوطي لبعض المرويات وحسب، بل ذكره لبعض المرويات في مواطنَ لم يذكر الطبري فيها شيئاً من المرويات، مثال ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ مريم: ٦٦، فقد ذكر السيوطي رواية عن ابن جريج تبين أنّ القائل هو العاص بن وائل[3]، في حين لم يرد في تفسير الطبري في ذلك سوى مرويات متعلّقة بموضوع القراءات.

٢. في تفسير الآيات التي لم يرد فيها مرويات تبين معانيها، كان منهج السيوطي هو التوقف، وعدم اجتهاده في المعنى، أمّا الطبري فقد اجتهد في بيان المعنى، ومثال ذلك ما ورد عن الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ٦٧﴾ مريم: ٦٧.

٣. ظهر اجتهاد الإمام الطبري في هذا المبحث من خلال ترجيحه بين الأقوال المختلفة، وهو بذلك متماشياً مع منهجه في الترجيح والتعليق على الروايات المأثورة، ومن الأمثلة على ذلك

---

[1] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢٧/١٨ – ٢٢٨).

[2] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٣٣/٥).

[3] يُنظر السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٣٢/٥).

ترجيحه بين الأقوال الواردة في تفسير الورود في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ مريم: ٧١؛ فقد قال الطبري مرجّحاً: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: يردُها الجميع ثم يَصدُر عنها المؤمنون، فينجيهم الله، ويهوي فيها الكفار" ويستدل بالحديث الشريف على صحّة ما رجّحه، حيث قال: " وَوُرُودُهُمُوهَا هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم، فناجٍ مُسَلَّم ومُكَدَّسٌ فيها، وأذكر طرفًا من هذه الأقوال: عن أمّ مبشر امرأة زيد بن حارثة، قالت: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وهو في بيت حفصة: "لا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ شَهِدَ بَدْرًا والحُدَيْبِيَةَ، قالت: فقالت حفصة: يا رسول الله، أليس الله يقول ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ﴾؟ فقال رسول الله: "فمَهْ ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾".[1]

٤. تسجيل عدد من الزيادات للسيوطي على الطبري، وذلك مثل زيادة رواية عن السدي في تفسير قوله تعالى: ﴿حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾﴾ مريم: ٦٨، حيث قال في معنى جثياً: قيامًا.[2]

---

[1] إسحاق بن راهويه، أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي (المتوفى: ٢٣٨هـ)، مسند إسحاق بن راهويه حققه د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان – المدينة المنورة، ط١ ١٤١٢ – ١٩٩١، ٥ أجزاء (١٨٩/٤)، (١٩٦/٤)، أحمد بن حنبل، مسند أحمد (٥٩٠/٤٤)، ابن أبي عاصم، أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، الآحاد والمثاني، حققه د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية – الرياض، ط١ ١٤١١ – ١٩٩١، ٦ أجزاء (١٠١/٦)، بن أبي عاصم، أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، السنة، حققه محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، ط١ ١٤٠٠، جزأين (٤١٤/٢)، أبو نعيم، معرفة الصحابة (٣٥٥٧/٦)، الطبراني، المعجم الكبير(٢٠٨/٢٣).

[2] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٣٣/٥).

المبحث الثاني

الحديث عن نسبة الولد لله – عز وجل– والرد عليه، ومصير كل من المؤمنين والكافرين يوم القيامة

الآيات الكريمة في ذلك:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ مريم: ٨٣ – ٩٥

المطلب الأول: مناسبة الآيات الكريمة لما قبلها ومعناها العام

"بعد أن ذكر إنكار المشركين للبعث مع قيام الدليل على إمكانه بما يشاهد من أمر الخلق في النشأة الأوّلى– أردف ذلك الرد على عبّاد الأصنام"[1] فقال: لما زاد الكافرون في إعراضهم عن سبيل الله وطريق النجاة عاقبهم بأن جعل للشياطين سبيلاً عليهم تزعجهم إلى الكفر إزعاجًا وتزين لهم الباطل حتى تشربته قلوبهم، فلا تعجل أيها الرسول على هؤلاء فتنتظِرُهُم أيامٌ معدودة لا يتقدمون

[1] المراغي، تفسير المراغي (٨٢/١٦).

عنها ولا يتأخرون، يوم نجمع المتقين إلى ربهم الرحيم بهم وفودًا مكرمين. ونسوق الكافرين بالله سوقًا شديدًا إلى النار مشاة عِطاشًا، لا يملك هؤلاء الكفار الشفاعة لأحد، إنما يملكها مَنِ اتخذ عند الرحمن عهدًا بذلك، وهم المؤمنون بالله ورسله،(وبعد أن ردّ على عبدة الأوثان، وأثبت لهم بقاطع الأدلة أنهم في ضلالهم يعمهون، وأنهم عن الحق معرضون- أردف ذلك الرد على من أثبت له الولد كاليهود الذين قالوا عزير ابن الله، والنصارى الذين قالوا المسيح ابن الله، والمشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا)وبين لهم شناعة قولهم وأثرها على الكون عامة[1]، (فتكاد السموات يتشقَّقْنَ مِن فظاعة ذلك القول، وتتصدع الأرض، وتسقط الجبال سقوطًا شديدًا غضبًا لله لِنِسْبَتِهم إليه الولد. تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، وما يصلح للرحمن، ولا يليق بعظمته، أن يتخذ ولدًا؛ لأن اتخاذ الولد يدل على النقص والحاجة، والله هو الغني الحميد المبرأ عن كل النقائص، وكل مَن في السموات من الملائكة، ومَن في الأرض من الإنس والجن، سيأتي ربه يوم القيامة عبدًا ذليلاً خاضعًا مقرًا له بالعبودية، فلقد أحصى الله سبحانه وتعالى خَلْقَه كلهم، وعلم عددهم، فلا يخفى عليه أحد منهم، وسوف يأتي كل فرد من الخلق ربه يوم القيامة وحده، لا مال له ولا ولد معه).[2]

---

[1] المراغي، تفسير المراغي (٨٢/١٦، ٨٦).

[2] التركي وآخرون، التفسير الميسر (٣١١/١).

المطلب الثاني: التفسير بالمأثور للآيات الكريمة

وفيه عدّة مسائل:

المسألة الأولى: تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ مريم: ٨٣.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ألم تَر يا محمد أنا أرسلنا الشياطين على أهل الكفر بالله ﴿تَؤُزُّهُمْ﴾ يقول: تحركهم بالإغواء والإضلال، فتجرهم إلى معاصي الله، وتغريهم بها حتى يواقعوها ﴿أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ إزعاجا وإغواء"[١]، روي نحو ذلك عن ابن عباس والضحاك وقتادة وابن زيد[٢]، وذكر مثله في الدر عن مجاهد، وزاد عن ابن عباس قال: توقدهم وقودًا[٣].

المسألة الثانية: تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾ مريم: ٨٤.

يقول الطبري: "يقول عز ذِكْرُهُ: فلا تعجل على هؤلاء الكافرين بطلب العذاب لهم والهلاك، يا محمد إنما نعد لهم عدًا، يقول: فإنما نؤخر إهلاكهم ليزدادوا إثمًا، ونحن نعد أعمالهم كلها ونحصيها حتى أنفاسهم لنجازيهم على جميعها، ولم نترك تعجيل هلاكهم لخير أردناه بهم"[٤]، روي نحو ذلك عن ابن عباس[٥]، ذكر مثله في الدر عن أبي جعفر محمد بن علي[٦].

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٥١/١٨).

[٢] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٥١/١٨ – ٢٥٢)

[٣] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٣٧/٥ – ٥٣٨).

[٤] الطبري، جامع البيان في تاويل القرآن (٢٥٢/١٨)

[٥] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تاويل القرآن (٢٥٢/١٨ – ٢٥٣)

[٦] محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، ثقة كثير العلم والحديث، اختلف في وفاته فقيل توفي سنة ١١٤، ١١٧، ١١٨هـ. (ابن سعد، الطبقات الكبرى (٣٢٠/٥، ٣٢٤)، الشيرازي، أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي =

المسألة الثالثة: تفسير قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ٨٥﴾ مريم: ٨٥.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذِكْرُهُ: يوم نجمع الذين اتقوا في الدنيا فخافوا عقابه، فاجتنبوا لذلك معاصيه، وأدوا فرائضه إلى ربهم ﴿وَفۡدٗا﴾ يعني بالوفد: الركبان، يقال: وفدت على فلان: إذا قدمت عليه، وأوفد القوم وفدًا على أميرهم، إذا بعثوا قبلهم بعثًا، والوفد في هذا الموضع بمعنى الجمع"[1]، روي ذلك عن علي وأبي هريرة وابن عباس وعمرو بن قيس الملائي وقتادة وابن جريج وسفيان الثوري[2].

و ذكر مثله في الدر عن الربيع وعن أبي سعيد وذكر روايات كثيرة عن علي أذكر منها هذا الحديث: عَن عَليّ قَالَ: سَأَلت رَسُول الله -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- عَن هَذِه الْآيَة ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ٨٥﴾ قلت: يَا رَسُول الله هَل الْوَفْد إِلَّا الركب ؟ قَالَ النَّبِي -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم-: وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ إِنَّهُم إِذا خَرجُوا من قُبُورهم استقبلوا بِنُوق بيض لَهَا أَجْنِحَة وَعَلَيْهَا رحال الذَّهَب شرك نعَالهمْ نور يتلألأ كل خطْوَة مِنْهَا مثل مد الْبَصَر وينتهون إِلَى بَاب الْجنَّة فَإِذا حَلقَة من ياقوتة حَمْرَاء على صَفَائِح الذَّهَب وَإِذا شَجَرَة على بَاب الْجنَّة يَنْبع من أَصْلهَا عينان فَإِذا شربوا من إِحْدَى الْعَينَيْنِ فتغسل مَا فِي بطونهم من دَنَس ويغتسلون من الْأُخْرَى فَلَا تَشْعَثُ أبشارهم وَلَا أشعارهم بعْدهَا أبدا فيضربون بالحلقة على الصفيحة فَلَو سَمِعت طنين الْحلقَة يَا عَليّ فَيبلغ كل حوراء أَن زَوجهَا قد أقبل فتستخفها العجلة فتبعث قَيمّهَا فَيفتح لَهُ الْبَاب فَإِذا رَآهُ خَرّ لَهُ سَاجِدا فَيَقُول: ارْفَعْ رَأسك فَإِنَّمَا أَنا قَيِّمُكَ

= (المتوفى: ٤٧٦هـ)، طبقات الفقهاء، هذبه محمد بن مكرم ابن منظور (المتوفى: ٧١١هـ) ، حققه إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، ط١ ١٩٧٠. (٦٤/١ – ٦٥). يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٣٨/٥).

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٥٤/١٨).

[2] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٥٤/١٨ – ٢٥٥).

وُكِّلْتُ بِأَمْرك فيتبعه ويقفو أَثَره فتستخف الْحَوْرَاء العجلة فَتخرج من خيام الدّرّ والياقوت حَتَّى تعتنقه ثمَّ تَقول: أَنْت حبي وَأَنا حبك وَأَنا الراضية فَلَا أَسخط أبدًا وَأَنا الناعمة فَلَا أبأس أبدًا وَأَنا الخالدة فَلَا أَمُوت أبدًا وَأَنا المقيمة فَلَا أظعن أبدا، فَيدْخل بَيْتا من أساسه إِلَى سقفه مائَة ألف ذِرَاع، بُني على جندل اللُّؤْلُؤ والياقوت، طرائق حمر وطرائق خضر وطرائق صفر، مَا مِنْهَا طَرِيقَة تشاكل صاحبتها وَفِي الْبَيْت سَبْعُونَ سريراً على كل سَرِير سَبْعُونَ فراشا عَلَيْهَا سَبْعُونَ زَوْجَة على كل زَوْجَة سَبْعُونَ حلةٍ يُرَى مخ سَاقهَا من وَرَاء الْحلَل يقْضِي جماعهن فِي مِقْدَار لَيْلَة من لياليكم هَذِه تجْرِي من تَحْتهم الْأَنْهَار أَنهَار مطردَة ﴿أَنْهَرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ محمد: ١٥، صَاف لَيْسَ فِيهِ كدور، ﴿وَأَنْهَرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ محمد: ١٥، وَلم يخرج من ضروع الْمَاشِيَة، ﴿وَأَنْهَرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ محمد: ١٥، لم يعصرها الرِّجَال بأقدامها، ﴿وَأَنْهَرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ محمد: ١٥، لم يخرج من بطُون النَّحْل، فيستحلي الثِّمَار، فَإِن شَاءَ أكل قَائِما وَإِن شَاءَ أكل قَاعِدا وَإِن شَاءَ أكل مُتكئا، فيشتهي الطَّعَام فيأتيه طير بيض أَجْنِحَتهَا فيأكل من جنوبها أَي لون شَاءَ، ثمَّ تطير، فتذهب فَيدْخل الْملك فَيَقُول: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ الزمر: ٧٣، ﴿تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ الأعراف: ٤٣".[1]

---

[1] ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي (المتوفى: ٢٨١هـ)، صفة الجنة، حققه ودرسه: عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة– مصر، مكتبة العلم، جدة – السعودية (٣٥/١)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٢٦٤/٥)، علق ابن كثير عليه في تفسيره فقال: " **هَكَذَا وَقَعَ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ مَرْفُوعًا، وَقَدْ رُوِّينَاهُ فِي الْمُقَدِّمَاتِ مِنْ كَلَامِ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِنَحْوِهِ، وَهُوَ أَشْبَهُ بِالصِّحَّةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٥٢٦٤)**. يُنظر: السيوطي، الدر المنثور: في التفسير بالمأثور (٥٣٨/٥ – ٥٤٠).

المسألة الرابعة: تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ٨٦﴾ مريم: ٨٦.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذِكْرُهُ: ونسوق الكافرين بالله الذين أجرموا إلى جهنم عطاشًا"[١]، روي ذلك عن ابن عباس وأبي هريرة والحسن وقتادة وسفيان الثوري[٢]، وذكر مثله في الدر عن مجاهد.[٣]

المسألة الخامسة: تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ٨٧﴾ مريم:٨٧.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذِكْرُهُ: لا يملك هؤلاء الكافرون بربهم يا محمد – يوم يحشر الله المتقين إليه وفدًا– الشفاعة، حين يشفع أهل الإيمان بعضهم لبعض عند الله، فيشفع بعضهم لبعض ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ في الدنيا ﴿عَهۡدٗا ٨٧﴾ بالإيمان به، وتصديق رسوله، والإقرار بما جاء به، والعمل بما أمر به"[٤]، روي نحوه عن ابن عباس وابن جريج وقتادة[٥]، وذكر في الدر نحوه عن مقاتل بن حيان[٦]، ووردت أحاديث كثيرة حول هذا المعنى أذكر بعضًا منها:

عَن أبي بكر الصّديق قَالَ: قَالَ رَسُول الله –صلى الله عَلَيْهِ وَسلم–: من قَالَ فِي دُبُرِ كل صَلَاة – بَعْدَمَا سلم – هَؤُلَاءِ الْكَلِمَات: كتبه ملك فِي رَقٍّ فختم بِخَاتم ثمَّ دَفعهَا إليّ يَوْم الْقِيَامَة فَإِذا بعث الله العَبْد من قَبره جَاءَهُ الْملك وَمَعَهُ الْكتاب يُنَادي: أَيْن أهل العهود حَتَّى تدفع إِلَيْهِم والكلمات أَن تَقول:

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٥٥/١٨).

[٢] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٥٥/١٨).

[٣] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٤١/٥).

[٤] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٥٥/١٨ – ٢٥٦).

[٥] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٥٥/١٨ – ٢٥٦).

[٦] مقاتل بن حيان بن دوال دور أبو بسام النبطي البلخي، الإمام العالم المحدث الثقة، عني بعلم القرآن وواظب على الورع ، توفي سنة ١٥٠هـ. (ابن حبان، مشاهير علما ء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار (٣٠٩/١)، (الذهبي، سير أعلام النبلاء (٣٤٠/٦ – ٣٤١).

اللَّهُمَّ فاطر السَّمَوَات وَالْأَرْض عَالم الْغَيْب وَالشَّهَادَة الرَّحْمَن الرَّحِيم – إِنِّي أَعهد إِلَيْك فِي هَذِه الْحَيَاة الدُّنْيَا بأنك أَنْت الله الَّذِي لَا إِلَه إِلَّا أَنْت وَحدك لَا شريك لَك وَأَن مُحَمَّدًا عَبدك وَرَسُولك فَلَا تَكِلنِي إِلَى نَفسِي فَإِنَّك إِن تَكِلنِي إِلَى نَفسِي تقربني من الشَّرّ وَتُبَاعِدنِي من الْخَيْر وَإِنِّي لَا أَثِق إِلَّا بِرَحْمَتك فَاجْعَلْ رحمتك لي عهدا عنْدك تُؤَدِّيه إِلَيّ يَوْم الْقِيَامَة: إِنَّك لَا تخلف الميعاد[1].

المسألة السادسة: تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ٨٩﴾ مريم: ٨٨ – ٨٩.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء الكافرون بالله ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ٨٩﴾ يقول تعالى ذكره للقائلين ذلك من خلقه: لقد جئتم ايها الناس شيئًا عظيمًا من القول منكرًا"[2]، ذكر نحو ذلك عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد[3].

المسألة السابعة: تفسير قوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩٠﴾ مريم: ٩٠.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: تكاد السموات يتشققن قطعًا من قيلهم ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨﴾ ومنه قيل: فطرنا به: إذا انشق"[4]، روي نحو ذلك عن ابن عباس ومجاهد[5].

---

[1] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥/٥٤١ – ٥٤٣)؛ والحديث رواه الحكيم الترمذي، محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله (المتوفى: نحو ٣٢٠هـ)، نوادر الأصول في أحاديث الرسول –صلى الله عليه وسلم–، حققه عبد الرحمن عميرة، دار الجيل – بيروت، ٤ أجزاء (٢/٢٧٢)؛ وقد ورد بمعنى هذا الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه في المستدرك على الصحيحين، وحُكم عليه بالصحّة، يُنظر: الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين (٢/٤٠٩).

[2] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/٢٥٧).

[3] المرجع السابق.

[4] المرجع السابق.

[5] يُنظر: المرجع السابق.

أما قوله تعالى: ﴿وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ﴾ فيقول الطبري في تفسيره: "وتكاد الأرض تنشق، فتنصدع من ذلك ﴿وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠﴾ يقول: وتكاد الجبال يسقط بعضها على بعض سقوطًا. والهدّ: السقوط، وهو مصدر هَدَدْتُ، فأنا أهُدُّ هَدًّا"[١]، روي نحو ذلك عن ابن عباس وابن زيد[٢]، وذكر نحوه في الدر عن مجاهد والضحاك[٣].

المسألة الثامنة: تفسير قوله تعالى: ﴿أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدًا ۝٩١﴾ مريم: ٩١.

يقول الطبري: "يعني بقوله: ﴿أَن دَعَوۡاْ﴾ أن جعلوا له ولداً"[٤].

المسألة التاسعة: تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢﴾ مريم: ٩٢.

يقول الطبري في تفسير الآية: "وما يصلح لله أن يتخذ ولدًا، لأنه ليس كالخلق الذين تغلبهم الشهوات، وتضطرهم اللذات إلى جماع الإناث، ولا ولد يحدث إلا من أنثى، والله يتعالى عن أن يكون ككخلقه"[٥].

المسألة العاشرة: تفسير قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدًا ۝٩٣﴾ مريم:٩٣.

يقول الطبري في تفسير الآية: "ما جميع من في السموات من الملائكة، وفي الأرض من البشر والإنس والجن ﴿إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدًا ۝٩٣﴾ يقول: إلا يأتي ربه يوم القيامة عبدًا له، ذليلاً خاضعًا، مقرا له بالعبودية، لا نسب بينه وبينه"[٦].

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٥٧/١٨).
[٢] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٥٧/١٨ – ٢٥٩).
[٣] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٤٣/٥ – ٥٤٤).
[٤] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٦٠/١٨).
[٥] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٦٠/١٨).
[٦] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٦٠/١٨-٢٦١).

المسألة الحادية عشرة: تفسير قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ٩٤﴾ مريم: ٩٤.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: لقد أحصى الرحمن خلقه كلهم، وعدهم عدًا، فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم، وعرف عددهم، فلا يعزب عليه منهم أحد"[١].

المسألة الثانية عشر: تفسير قوله تعالى: ﴿وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ٩٥﴾ مريم: ٩٥.

يقول الطبري في تفسير الآية: "وجميع خلقه سوف يَرِدُ عليه يوم تقوم الساعة وحيدًا لا ناصر له من الله، ولا دافع عنه، فيقضي الله فيه ما هو قاض، ويصنع به ما هو صانع".[٢]

وبعد عرض التفسير بالمأثور للآيات السابقة أختم هذا المبحث ببعض الملاحظات العامة.

المطلب الثالث: ملاحظات عامة على المبحث

بعد الانتهاء من عرض التفسير بالمأثور للآيات في المطلب السابق، فقد خلصت لبعض الملاحظات العامّة:

المسألة الأولى: فيما يتعلّق بالروايات المأثورة، فقد تمّ الاستعانة ببعض الأحاديث لتفسير بعض الآيات، ولم تخلُ تلك الأحاديث من بعض الروايات الضعيفة التي حكم عليها أهل الحديث، ومثاله ما جاء في تفسير قوله تعالى:﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ٨٥﴾، فقد ورد عَن عَليّ–رضي الله عنه–، قَالَ: سَأَلت رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم عَن هَذِه الْآيَة ﴿ يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ٨٥ ﴾، قلت: يَا رَسُول الله هَل الْوَفْد إِلَّا الركب قَالَ النَّبِي –صلى الله عَلَيْهِ وَسلم–: وَالَّذِي نَفسِي

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٦١/١٨).

[٢] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٦٠/١٨-٢٦١).

بِيَدِهِ إِنَّهُم إِذا خَرجُوا من قُبُورهم استقبلوا بِنُوق بيض لَهَا أَجْنِحَة وَعَلَيْهَا رحال الذَّهَب، شرك نعَالهمْ نور يتلألأ كل خطْوَة مِنْهَا مثل مد الْبَصَر..."[1].

المسألة الثانية: فيما يتعلق بمنهج الطبري والسيوطي، ورد أيضاً في هذا المبحث زيادات للسيوطي على الطبري، مثل زيادة رواية عن ابن عباس –رضي الله عنه–، في تفسير قوله تعالى: ﴿تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا ٨٣﴾ مريم: ٨٣، حيث قال: توقدهم وقودًا[2]، حيث لم ترد هذه الرواية عند الطبري.

كذلك فقد برز جلياً في هذا المبحث الاكتفاء بالتفسير اللغوي لبعض الآيات وذلك في تفسير الإمام الطبري، وعدم وجود أقوال مأثورة في كلا التفسيرين فيها، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ٩١﴾ مريم: ٩١، حيث فسرها الطبري بـ: " أن جعلوا له ولداً"[3].

---

[1] ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي (المتوفى: ٢٨١هـ)، صفة الجنة، حققه ودرسه: عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة– مصر، مكتبة العلم، جدة – السعودية (٣٥/١)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٢٦٤/٥)، علق ابن كثير عليه في تفسيره فقال: " **هَكَذَا وَقَعَ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ مَرْفُوعًا، وَقَدْ رُوِّينَاهُ فِي الْمُقَدِّمَاتِ مِنْ كَلَامِ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِنَحْوِهِ، وَهُوَ أَشْبَهُ بِالصِّحَّةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٥٢٦٤)**. يُنظر: السيوطي، الدر المنثور: في التفسير بالمأثور (٥٣٨/٥ – ٥٤٠).

[2] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٣٧/٥ – ٥٣٨).

[3] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٦٠/١٨).

المبحث الثالث

محبّة المؤمنين وتيسير الذكر المبين وإهلاك المجرمين

الآيات الكريمة في ذلك:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ٩٧ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزًا ٩٨ ﴾ مريم: ٩٦ – ٩٨.

المطلب الأوّل: مناسبة الآيات الكريمة لما قبلها ومعناها العام

بعد أن فصّل الله سبحانه وتعالى أحوال الكافرين في الدنيا والآخرة، وبالغ في الرد عليهم، ختم السورة بذكر أحوال المؤمنين، وبين أنه سبحانه سيغرس محبتهم في قلوب عباده، وبعد أن استقصى في السورة دلائل التوحيد والنبوة والحشر، ورَدَّ فيها على فرق المبطلين، بَيَّن أنه يسر ذلك بلسان نبيه –صلّى الله عليه وسلّم– ليبشر به المتقين، وينذر به قومًا من المشركين ذوي الجدل والمماراة.[1]

[1] المراغي، تفسير المراغي (٨٨/١٦).

المطلب الثاني: التفسير بالمأثور للآيات الكريمة

وفيه عدّة مسائل:

المسألة الأولى: تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ مريم: ٩٦.

ورد في سبب نزول هذه الآية روايتان؛ هما:

عَن عبد الرحمن بن عَوْف: أَنَّه لما هَاجر إِلَى الْمَدِينَة – وجد فِي نَفسه على فِرَاق أَصْحَابه بِمَكَّة مِنْهُم: شيبَة بن ربيعَة وَعتبَة بن ربيعَة وأميه بن خلف فَأنْزل الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾[1]، قال ابن كثير: "وقد روى ابن جرير أثرا أنّ هذه الآية نزلت في هجرة عبد الرحمن بن عوف. وهو خطأ، فإن هذه السورة بتمامها مكية لم ينزل منها شيء بعد الهجرة، ولم يصح سند ذلك، والله أعلم."[2]

وذكر في الدر "عَن الْبَراء قَالَ: قَالَ رَسُول الله – صلى الله عَلَيْهِ وَسلم– لعليّ: قل: اللَّهُمَّ اجْعَل لي عنْدك عهدًا وَاجعَل لي عنْدك وُدّاً وَاجعَل لي فِي صُدُور الْمُؤمنِينَ موَدَّة فَأنْزل الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ قَالَ: فَنزلت فِي عَليّ رضي الله عنه".[3]

---

[1] انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٦٣/١٨).

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٥/ ٢٦٩)

[3] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٤٤/٥).

يقول الطبري: "يقول تعالى ذِكْرُهُ: إن الذين آمنوا بالله ورسله، وصدقوا بما جاءهم من عند ربهم، فعملوا به، فأحلوا حلاله، وحرموا حرامه ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ في الدنيا، في صدور عباده المؤمنين"[1]، وبنحوه روي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وعبد الرحمن بن عوف[2].

وذكر مثله في الدر عن الضحاك، وذكر أحاديث كثيرة حول هذا الموضوع أذكر جانبًا منها:

عَن عَليّ قَالَ: سَأَلت رَسُول الله –صلى الله عَلَيْهِ وَسلم– عَن قَوْله: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ مَا هُوَ قَالَ: الْمحبَّة فِي قُلُوب الْمُؤمنِينَ وَالْمَلَائِكَة المقربين، فيا عَليّ، إنّ الله أعْطى الْمُؤمن ثَلَاثًا في الْمِنَّة والمحبة والحلاوة والمهابة فِي صُدُور الصَّالِحين. وعَن أبي هُرَيْرَة: أَن رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ: إذا أحب الله عبدًا نَادَى جِبْرِيل: إِنِّي قد أَحْبَبْت فلَانا فَأَحبهُ فيّ، فينادي فِي السَّمَاء ثمَّ تنزل لَهُ الْمحبَّة فِي أهل الأَرْض فَذَلِك قَول الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ ،وَإِذا أبْغض الله عبدا نَادَى جِبْرِيل: إِنِّي قد أبغضت فلَانا فينادي فِي أهل السَّمَاء، ثمَّ تنزل لَهُ الْبغضَاء فِي أهل الأَرْض[3].

---

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٦١/١٨).

[2] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٦١/١٨ – ٢٦٣).

[3] الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، حققه أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢ ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م، ٥ أجزاء. برقم (٣١٦١)، (٣١٧/٥ – ٣١٨)، وقال "وهذا حديث حسن صحيح"، البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي (المتوفى: ٢٩٢هـ)، البحر الزخار، حققه محفوظ الرحمن زين الله وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، ط١، ١٨ جزءً (٢٨/١٦)، يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٤٤/٥ – ٥٤٥).

المسألة الثانية: تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾ مريم: ٩٧.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: فإنما يسرنا يا محمد هذا القرآن بلسانك، تقرأه لتبشر به المتقين الذين اتقوا عقاب الله ، بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه بالجنة ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾: ولتنذر بهذا القرآن عذاب الله قومك من قريش، فإنهم أهل لدد وجدل بالباطل، لا يقبلون الحق. واللدّة: شدة الخصومة"[١]، روي نحوه عن مجاهد وابن عباس وقتادة ابن زيد والحسن[٢]، وذكر نحوه في الدر عن الضحاك[٣].

المسألة الثالثة: تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾ مريم: ٩٨.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: وكثيرًا أهلكنا يامحمد قبل قومك من مشركي قريش، من قرن، يعني من جماعة من الناس، إذا سلكوا في خلافي وركوب معاصي مسلكهم، هل تحس منهم من أحد: يقول: فهل تحس أنت منهم أحدًا يا محمد فتراه وتعاينه ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾ يقول: أو تسمع لهم صوتًا، بل بادوا وهلكوا، وخلت منهم دورهم، وأوحشت منهم منازلهم، وصاروا إلى دار لا ينفعهم فيها إلا صالح من عمل قدموه، فكذلك قومك هؤلاء، صائرون إلى ما صار إليه أولئك، إن لم يعالجوا

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٦٣/١٨).

[٢] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٦٣/١٨ – ٢٦٤).

[٣] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٤٦/٥).

التوبة قبل الهلاك"[1]، وبنحوه روي عن ابن عباس وقتادة والضحاك وسفيان[2]، وذكر نحوه في الدر عن سعيد بن جبير وقتادة والحسن[3].

وبالانتهاء من تفسير هذه الآيات أنهي التفسير بالمأثور لسورة مريم عليها الصلاة والسلام، وفيما يلي بعض الملاحظات العامّة على هذا المبحث.

المطلب الثالث: ملاحظات عامّة على المبحث

إنّ من أبرز الملاحظات على هذا المبحث هي كثرة الروايات عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، ولم تخلُ تلك الروايات من بعض الروايات الضعيفة، ومثال ذلك ما جاء في سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ مريم: ٩٦؛ فقد وردت رواية تبين أنّ الآية نزلت بعد هجرة عبد الرحمن بن عوف –رضي الله عنه–، وقد بيّن ابن كثير ضعف هذه الرواية، حيث قال: "وقد روى ابن جرير أثرا أن هذه الآية نزلت في هجرة عبد الرحمن بن عوف. وهو خطأ، فإن هذه السورة بتمامها مكية لم ينزل منها شيء بعد الهجرة، ولم يصح سند ذلك، والله أعلم."[4]

---

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٦٤/١٨).

[2] يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٦٤/١٨ – ٢٦٥).

[3] يُنظر: السيوطي، الدر المنثجور في التفسير بالمأثور (٥٤٧/٥).

[4] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٥/ ٢٦٩)

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد خلصت بعد دراسة التفسير بالمأثور في سورة مريم إلى النتائج التالية:

١. كثرة الآيات التي خلت من أيّ تفسير لها بالمأثور في كلا الكتابين، حيث اقتصر الطبري على ذكر المعنى اللغوي ولم يذكر السيوطي فيها شيئاً، وبلغ عددها ٢٤ آية.

٢. جلُّ اختلاف الأقوال في التفسير بالمأثور هو من قبيل اختلاف التنوّع والعبارة، لا اختلاف التضاد والتباين.

٣. الإمام السيوطي أكثر جمعاً للمرويات من الإمام الطبري، وقد لاحظت ذلك من خلال إيراده بعض المرويات التي لم يذكرها الطبري، ويمكن تعليل ذلك بكون السيوطي متأخراً عن الطبري، فكان لديه من المراجع في المرويات ما لم يكن لدى الطبري.

٤. وجود كثير من الروايات الإسرائيلية عند الطبري والسيوطي في تفسيريهما، وبعضها مخالف لما جاء به الشرع.

٥. ذكر الطبري والسيوطي على حد سواء روايات ضعيفة، غيرَ أن الطبريّ اكتفى بذكر السند وترك العهدة على القارئ، أما السيوطي فاختصر السند وخُلط الصحيح بالضعيف.

٦. اجتهاد الطبري في تفسيره، وقد ظهر ذلك من خلال وجود ترجيحات وتعليقات للطبري على بعض الأقوال، والروايات المأثورة، علاوة على إشارته إلى المعنى اللغوي لبعض مفردات الآيات.

وأوصي أن يكون هناك دراسات مثيلة لكامل سور القرآن، تكون أكثر تخصصاً في نقد الروايات، وتمييزاً لصحيحها من سقيمها.

وبعد فهذا جُهدٌ عراهُ التقصير ولن يعدمَ النقصَ والخطأ، فما كان فيه من صوابٍ فبتوفيقٍ من الله وبكرمه وفضله وتسديده فله الحمد، وما كان فيه من تقصيرٍ وخلل فمن نفسي والشيطان، فأسأل الله العفو والغفران، وأن يتقبّل هذا الجُهد ويجعلُه من الزاد النافع.

وصلِّ اللهمّ على نبينا وحبيبِنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

١. ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ت ٦٠٦هـ، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، حققه طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، ٥أجزاء.

٢. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم ، محمد بن محمد بن عبد الكريم (عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ت ٦٣٠هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر – بيروت، ١٤٠٩هـ–١٩٨٩م.

٣. الأدنه وي، أحمد بن محمد ق ١١هـ)، طبقات المفسرين، حققه سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم –السعودية، ط١ ١٤١٧هـ–١٩٩٧م، جزءاً.

٤. ابن أبي أسامة، الحارث أبو محمد بن محمد بن داهر التميمي البغدادي الخصيب (ت ٢٨٢هـ)، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، انتقاء الهيثمي ، أبو الحسن نور الدين (ت ٨٠٧ هـ)، حققه د. حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية – المدينة المنورة، ط١ ١٤١٣ – ١٩٩٢، جزأين.

٥. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين (ت ١٤٢٠هـ)، ضَعيفُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض – المملكة العربية السعودية، 1421هـ – ٢٠٠٠ م، ط١، جزأين.

٦. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين (ت ١٤٢٠هـ)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١ ، ٦ أجزاء.

٧. البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، حققه محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ط١، ١٤٢٢هـ، ٩ أجزاء.

٨. البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، التاريخ الكبير، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد –الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، ط بدون، ٨ أجزاء.

٩. البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي (ت ٢٩٢هـ)، البحر الزخار، حققه محفوظ الرحمن زين الله وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، ط١، ١٨ جزء.

١٠. البغوي، محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (ت ٥١٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، حققه عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط١ ١٤٢٠هـ، ٥ أجزاء.

١١. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (ت ٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط بدون، ٢٢ جزء.

١٢. البيهقي، أبو بكر، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، (ت ٤٥٨هـ)، السنن الكبرى، حققه محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، ط٣ ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

١٣. البيهقي، أبو بكر، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، (المتوفى: ٤٥٨هـ)، شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد

الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط١ ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م، ١٤ جزءً. ط١ ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م، ١٤ جزءً.

١٤. التركي، عبد الله بن عبد المحسن، وآخرون، (التفسير الميسر)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، ط٢، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

١٥. الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، حققه حمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢ ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م، ٥ أجزاء.

١٦. ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، مقدمة في أصول التفسير، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٤٩٠هـ/١٩٨٠م.

١٧. الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (المتوفى: ٥٩٧هـ)، غريب الحديث، حققه الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط١ ١٤٠٥ – ١٩٨٥، جزأين.

١٨. ابن جزي ، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، الكلبي الغرناطي (ت ٧٤١هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، حققه الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم –بيروت، ط١– ١٤١٦هـ.

١٩. الحاكمٍ، عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، حققه مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية –بيروت، ط١ ١٤١١– ١٩٩٠، ٤ أجزاء.

٢٠. ابن حبّان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ الدارمي البُستي (ت ٣٥٤هـ)، الثقات، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط١ ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣، ٩ أجزاء.

٢١. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ الدارمي البُستي (ت ٣٥٤هـ)، مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، حققه ووثقه وعلق عليه: مرزوق على ابراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع –المنصورة، ط١ ١٤١١هـ–١٩٩١م.

٢٢. ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت ٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، حققه عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ – ١٤١٥ هـ، ٨ أجزاء.

٢٣. الحكيم الترمذي، محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله (ت نحو ٣٢٠هـ)، نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، حققه عبد الرحمن عميرة، دار الجيل – بيروت، ٤ أجزاء.

٢٤. أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، (ت ٧٤٥هـ)، البحر المحيط، حققه صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ

٢٥. الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن (ت ٧٤١هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، حققه محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية –بيروت، ط١ ١٤١٥هـ.

٢٦. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم –دمشق– ط٣، ١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م.

٢٧. الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، حققه الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي –بيروت، ط١ ١٤٢٢هـ–٢٠٠٢م.

٢٨. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ)، المتفق والمفترق، درسه وحققه الدكتور محمد صادق آيدن الحامدي، دار القادري للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الأولى، ١٤١٧هـ–١٩٩٧م، ٣ أجزاء.

٢٩. ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ط١ ١٩٧١م.

٣٠. الداودي، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين (ت ٩٤٥هـ)، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية –بيروت، ط بدون، جزءان.

٣١. ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي (ت ٢٨١هـ)، صفة الجنة، تحقيق ودراسة: عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة– مصر، مكتبة العلم، جدة – السعودية.

٣٢. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت ٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، حققه الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١ ٢٠٠٣م، ١٥ جزء.

٣٣. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، حققه مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣ ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م،٢٥ جزء.

٣٤. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت ٧٤٨هـ)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، حققه علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط١ ١٣٨٢هـ-١٩٦٣م، ٤ أجزاء.

٣٥. الذهبي، محمد السيد حسين (ت ١٣٩٨هـ)، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، ط بدون.

٣٦. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط٣- ١٤٢٠هـ.

٣٧. ابن راهويه، أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي (ت ٢٣٨هـ)، مسند إسحاق بن راهويه، حققه د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان – المدينة المنورة، ط١ ١٤١٢ – ١٩٩١، ٥ أجزاء.

٣٨. الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء الدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية برقم ٩٥١/ ٥ وتاريخ ٥/ ١٤٠٦/٨، ط١ ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.

٣٩. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر –دمشق، ،ط٢ ١٤١٨هـ، ٥ أجزاء.

٤٠. الزرقاني، محمد عبد العظيم، (ت ١٣٦٧هـ) ،مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط٣، جزأين.

٤١. الزركشي، أبوعبد الله بدرالدين محمد بن عبد الله (ت ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦هـ-١٩٥٥م، ٤ أجزاء.

٤٢. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، (ت ١٣٩٦هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.

٤٣. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، أساس البلاغة، حققه محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١ ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م، جزأين.

٤٤. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (ت ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي –بيروت، ط٣– ١٤٠٧هـ، ٤ أجزاء.

٤٥. الزيات، أحمد، وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.

٤٦. ابن سعد: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي (ت ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، حققه محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ ١٤١٠هـ–١٩٩٠م، ٨ أجزاء.

٤٧. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، حققه عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١ ١٤٢٠هـ–٢٠٠٠م.

٤٨. أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط بدون.

٤٩. السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ)، تفسير القرآن، حققه ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، ط١، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.

٥٠. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت ٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ٤ أجزاء.

٥١. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت ٩١١هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر –بيروت، ٨ أجزاء.

٥٢. شريف، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، د. محمد إبراهيم، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، ط بدون

٥٣. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت –لبنان، ١٤١٥هـ–١٩٩٥م.

٥٤. أبو شهبة، محمد بن محمد بن سويلم، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مكتبة السنة، ط٤.

٥٥. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ.

٥٦. الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد (ت ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، حققه شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١ ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م.

٥٧. الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد (ت241هـ)، الزهد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١ ١٤٢٠هـ–١٩٩٩، جزء واحد.

٥٨. الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (ت ٤٧٦هـ)، طبقات الفقهاء، هذبه محمد بن مكرم ابن منظور (ت ٧١١هـ) ، حققه إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، ط١ ١٩٧٠.

٥٩. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، (ت ٣٦٠هـ)، المعجم الأوسط، حققه طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة، ١٠ أجزاء.

٦٠. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، (ت ٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، حققه حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية –القاهرة، ط٢، ٢٥ جزء.

٦١. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم (ت ٣٦٠هـ)، مسند الشاميين، حققه حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة –بيروت، ط١ ١٤٠٥-١٩٨٤، ٤ أجزاء.

٦٢. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، حققه أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١ ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ٢٤ جزء.

٦٣. الطيار، مساعد بن سليمان، فصول في أصول التفسير، تقديم محمد بن صالح الفوزان، دار ابن الجوزي، الرياض، ط٣، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٦٤. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت 1393هـ)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» الدار التونسية للنشر – تونس، ط بدون، ١٩٨٤ هـ.

٦٥. ابن أبي عاصم ، أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (ت ٢٨٧هـ)، الآحاد والمثاني، حققه د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية – الرياض، ط١ ١٤١١ – ١٩٩١، ٦ أجزاء.

٦٦. ابن أبي عاصم ، أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (ت ٢٨٧هـ)، السنة، حققه محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، ط١ ١٤٠٠، جزأين.

٦٧. عباس، فضل حسن، إتقان البرهان في علوم القرآن، دار الفرقان، ط١ ١٩٩٧م.

٦٨. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، حققه علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١ ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، ٤ أجزاء

٦٩. عبد الرزاق، أبو بكر بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت ٢١١هـ)، تفسير عبد الرزاق، دار الكتب العلمية، حققه د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، سنة ١٤١٩هـ، ٣ أجزاء.

٧٠. عبد بن حميد، أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر (ت ٢٤٩هـ)، المنتخب من مسند عبد بن حميد، حققه صبحي البدري السامرائي ، محمود محمد خليل الصعيدي، مكتبة السنة – القاهرة، ط١ ١٤٠٨ – ١٩٨٨.

٧١. ابن عدي، أبو أحمد الجرجاني (ت ٣٦٥هـ)، الكامل في ضعفاء الرجال، حققه عادل أحمد عبد الموجود–علي محمد معوض وعبد الفتاح أبو سنة، الكتب العلمية –بيروت– لبنان، ط١ ١٤١٨هـ–١٩٩٧م.

٧٢. ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ)، تاريخ دمشق، حققه عمرو العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ٨٤ جزء.

٧٣. عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، حققه عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية -بيروت، ط١- ١٤٢٢هـ

٧٤. ابن العِماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد أبو الفلاح (ت ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط١ ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ١١ جزء.

٧٥. الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، (ت ٧٠٨هـ)، البرهان في تناسب سور القرآن، حققه محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٧٦. الفالوجي، أكرم بن محمد زيادة، المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري، تقديم: علي حسن عبد الحميد الأثري، الدار الأثرية، الأردن - دار ابن عفان، القاهرة، جزأين.

٧٧. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، (ت ١٧٠هـ)، العين، حققه د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ط بدون.

٧٨. الفالوجي، أكرم بن محمد زيادة الأثري، المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري، تقديم: علي حسن عبد الحميد الأثري، الدار الأثرية، الأردن- دار ابن عفان، القاهرة، جزئين.

٧٩. القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت ٤٦٥هـ)، لطائف الإشارات، حققه إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر، ط٣.

٨٠. قطب، سيد إبراهيم حسين الشاربي (ت ١٣٨٥هـ)، في ظلال القرآن، دار الشروق – بيروت– القاهرة، ط١٧ ١٤١٢ هـ.

٨١. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، حققه سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢ ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ٨ أجزاء.

٨٢. الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (ت ٣٣٣هـ)، تأويلات أهل السنة، حققه د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية –بيروت، لبنان، ط١ ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ١٠ أجزاء.

٨٣. ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت ٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجه، حققه محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي، جزأين.

٨٤. ابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك الحنظلي، التركي ثم المرْوزي (ت ١٨١هـ)، الزهد والرقائق، حققه حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط بدون.

٨٥. المراغي، أحمد بن مصطفى (ت ١٣٧١هـ)، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط١ ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م، ٣٠ جزءاً.

٨٦. المروزي، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج (ت ٢٩٤هـ)، تعظيم قدر الصلاة، حققه د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار –المدينة المنورة، ط١ ١٤٠٦، جزأين.

٨٧. المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج (ت ٧٤٢هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، حققه د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة –بيروت، ط١ ١٤٠٠–١٩٨٠، ٣٥ جزء.

٨٨. ابن مَنْدَه، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى العبدي (ت ٣٩٥هـ)، معرفة الصحابة، حققه وقدم له وعلق عليه: عامر حسن صبري، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، ط١ ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م، جزء.

٨٩. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأفريقي، (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ١٥ جزءاً.

٩٠. النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١ ١٤١٩هـ–١٩٩٨م، ٣ أجزاء.

٩١. أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، السعادة ١٣٩٤هـ–١٩٧٤م، ١٠ أجزاء.

٩٢. أبو نعيم الأصفهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، معرفة الصحابة، حققه عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١ ١٤١٩هـ–١٩٩٨م، ٧ أجزاء.

٩٣. الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (ت 807هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، درسه: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤ م، ١٠ أجزاء.

٩٤. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، أسباب نزول القرآن، حققه عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح -الدمام، ط٢، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.